التقوى

المجلد ٣٤ - العدد ٦
صفر وربيع الأول ١٤٤٣هـ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢١

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجوانب من ريادته الإصلاحية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجوانب من ريادته الإصلاحية

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا

أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة

تكتب الحوالات المصرفية والبريدية

باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة

للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إله إلا الله محمد رسول الله

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية، تاريخية وعلمية
في غاية الأهمية.

إخلاء المسؤولية: تبذل مجلة التقوى جهدها لضمان دقة المعلومات والمواد المنشورة عبر منصاتها، والتي هي نتاج سعي كاتبها إلى إبداء وجهة نظره انطلاقا من أسس الجماعة الإسلامية الأحمدية التي لا يملك حق تمثيلها سوى سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي (عليه الصلاة والسلام) ومن بعده خلفائه الأطهار حصرًا، فتحظى المادة بالموافقة على النشر بقدر ما يوفِّق كاتبها للبحث والتمحيص، إلا أن مجلة التقوى لا تقدم أي ضمان صريح أو ضمني حول ما تنشره من مواد، وإن كانت تسعى بنفسها للتأكد من دقتها. لذا فإن أي خطأ قد يصدر من الكاتب فهو على مسؤوليته الشخصية، ولا تُحَمَّل الجماعة الإسلامية الأحمدية أو إدارة «التقوى» تَبِعَاته.

المحتويات

أكتوبر 2021 | المجلد 34 | العدد 6

صفر وربيع الأول 1443 هـ | آب - أكتوبر 2021

2 | **كلمة التقوى**
لِمَ الفزع من "العولمة"؟!

4 | **في رحاب القرآن**
الفرق بين إسراء موسى عليه السلام وإسراء المصطفى ﷺ

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
أحاديث نبوية في فضل الإنفاق والتجارة المَرْضِيَّة

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
"ربِّ ظهر الفساد في البرّ والبحر"

10 | **حضرة عمر بن الخطاب وجوانب من ريادته الاصلاحية** خطبة الجمعة (2021/7/9م)

21 | **درر من خزائن الأخيار**
أمل محمود عبد الجليل

22 | **خدعة "الفجوة الكبرى" والسطو على الفكر الاقتصادي الإسلامي**
أحمد دانيال عارف

28 | **التناغم الأسري**
د. فهيم يونس القرشي

33 | **ربِّ كل شيء خادمك**
الداعية مستنصر قمر

لا يكاد التاريخ يذكر دينًا أصَّلَ لقيم العولمة المحمودة، قبل دين الإسلام، بنبيه الهادي، وخلفائه الراشدين المهديين، وها نحن أمام سيرة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي طبَّق مبدأ المواطنة على وجهه الأكمل والأتم، كما استلهمه من القرآن الكريم، ونبي الله المصطفى الأمين عليه أفضل صلاة وتسليم.

لِمَ الفَزَعُ مِن «العَوْلَمَةِ»؟!

ينبغي قبل الخوض في الحديث عن العولمة أن ندرك بدايةً أنها ليست بالأمر الجديد على الساحة الفكرية، السياسية والاقتصادية العالمية، لا سيما وأن بعض المفكرين أرجعوا ظهورها إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، فكان من الفلاسفة والمفكرين المعاصرين من اعتبر العولمة بضاعة قديمة معبأة في صناديق جديدة، بمعنى أنها كمنظومة قيمة لم تأت بجديد سوى المصطلح الذي يُعد كغلاف خارجي للفكرة. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن مضمون العولمة ضارب في القِدم، فالبعض يُرجعه إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كما أسلفنا، بل إن بعض الفلاسفة والمؤرخين يبالغون في القول بقدم مفهوم العولمة، فيقولون بأن قِدَمه يتجاوز كُلًّا من حقبتي التاريخ الحديث والوسيط إلى التاريخ القديم. إذن فالعولمة من ناحية كونها نبيذًا قديمة معبأة في جرار جديدة، هي كذلك بالفعل، أما تحديد عمر هذا النبيذ بأواخر القرن التاسع عشر الميلادي أو ما قبل ذلك أو بعده، فهذه المسألة فيها بعض النظر، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي من سطور افتتاحية هذا الشهر.

أما مصطلح العولمة Globalization بشكله المعهود لنا الآن، فتعود بدايات استعماله إلى كتابين نُشِرا عام ١٩٧٠، الأول بعنوان «حرب وسلام في القرية الكونية» لـ«مارشال ماك كوهان»، والثاني بعنوان «أمريكا والعصر التكنتروني» لـ «زبيغنيو بريجنسكي»، ومنذ السبعينيات شاع استعمال مصطلح العولمة مع التطور المتسارع في تقنيات الاتصال وصولًا إلى أن بات اليوم على كل شفة ولسان.

والعالم الإسلامي ليس بعيدًا عن خضم هذه الأحداث والتغيرات العالمية، لا سيما وأنه يكون المستهدف الأول في أغلب الأحيان، وقد ترتب على التطورات الدولية المعاصرة تحديات إضافية تواجه الإسلام والمسلمين، وتستلزم إعادة النظر في طبيعة علاقاتهم فيما بينهم، وعلاقاتهم بالعالم من حولهم، بعد أن ثبت عدم جدوى المناداة بالمصلحة القومية.

والسؤال المطروح هاهنا هو: إذا كانت العولمة مفهومًا قديمًا كما يُقال، فلماذا يُنظَر إليها بوصفها إحدى تبعات النظام العالمي الجديد وبلاياه؟!

لقد شاع استخدام مصطلح العولمة في السنوات الأخيرة في الأوساط السياسية أولًا ومن ثم المنتديات الاقتصادية، وخاصة عقب تفكك الاتحاد السوفيتي. ومن ميداني السياسة والاقتصاد تفرعت أذرع العولمة لتطال مجالات الثقافة والتكنولوجيا والاتصال وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج والصناعات وانتشار أسواق التمويل، دون اعتداد بالحدود السياسية للدول ذات السيادة.

وقد ارتبط مفهوم العولمة بنظرة أمريكا الاقتصادية والثقافية والسياسية إلى الوضع العالمي، لا سيما بعد خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب للشعب الأمريكي بمناسبة إرسال قواته إلى منطقة الخليج العربي في أغسطس ١٩٩٠ فيما عرف بحرب الخليج الثانية. وفي معرض حديث بوش الأب عن هذا القرار ترددت في خطابه عبارات من قبيل: عصر جديد، وحقبة للحرية، وزمن السلام لكافة الشعوب. ثم بعد ذلك الخطاب بأقل من شهر أشار بوش الأب إلى إقامة ما أسماه «نظامًا عالميًا جديدًا» يكون بمأمن من الإرهاب وأكثر سلامًا، في عصر تستطيع فيه كل أمم العالم أن تنعم بالرخاء وتعيش في تناغم..

فارتباط فكرة العولمة بفكرة النظام العالمي الجديد راجع إلى أن

السياسة الأمريكية هي التي نادت بها أكثر من غيرها خصوصًا بعد حرب الخليج الثانية. ومما ساعد على ترويج هذه النظرة بسرعة وقوة انهيار الاتحاد السوفيتي وخلو الساحة إلى فترة طويلة نسبيًا من القطب المعاكس الذي يوازن الأمور، ويتبنى جملة من المبادئ لها نظرياتها الاقتصادية والسياسية والفكرية المستقلة عن المبدأ الرأسمالي الذي تتبناه أمريكا.

نخلص مما سبق إلى أن فكرة العولمة هي النتيجة الطبيعية لاتصال أكناف الكوكب وجنباته، الأمر الذي لا يُستغرب معه من اكتساب العولمة اسمًا دالًّا آخر، وهو «الكوكبية» والدعوة إلى قيم العولمة المتمثلة بشكل عام في محو الفوارق أيًّا كان نوعها، هي دعوة لها أسبابها المنطقية غالبًا، حيث إن المجتمعات على اختلافها ثقافيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، سرعان ما تميل إلى التجانس فور حدوث اتصال ما فيما بينها، فتنتقل القيم والعادات والمنتجات والبضائع والثقافات من هنا إلى هناك بين المجتمعات المختلفة وبعضها البعض، ويحدث شيء في الواقع الاجتماعي هو أشبه ما يكون بظاهرة الأواني المستطرقة في العالم الفيزيائي.

يبدو أن المؤسسات المالية الدولية التي يهيمن عليها الغرب أدركت متأخرة أن العولمة جعلت العالم مثل الأواني المستطرقة، فصعود المناسيب أو انخفاضها مترابط بشكل حتمي. والسلام مرتبط بالاستقرار، والصراعات والفقر والمجاعة نتيجة لأوضاع سياسية واقتصادية يتأثر فيها الداخلي بالخارجي.

إذا كانت الدول الغربية حريصة على الديمقراطية والشفافية وحقوق الإنسان، ولا تبالي أن تضغط ليمثل مجرمو الحرب ومرتكبو الجرائم ضد الإنسانية، أيًّا كانوا وأينما كانوا، أمام المحكمة الجنائية الدولية، فمن باب أولى أن يتسع قفص الاتهام حتى تمثل الشركات العابرة للقارات، التي تخلق النزاعات والحروب وتمولها حتى يسهل عليها نهب النفط واليورانيوم والماس والمواد الخام المعدنية والزراعية، أمام القضاء الدولي.

وعلى الصعيد الإسلامي، لا تبدو فكرة العولمة كارثية كما يروج، للأسف، تقليديو المسلمين، الذين ما فتئوا يتحدثون عنها كما لو كانت بعض حبائل الشيطان، وذلك على الرغم من أن القارئ الممعن في التاريخ الإنساني عمومًا والإسلامي خصوصًا يصل بقراءته إلى نتيجة مفادها أن كل القوى والحضارات القديمة والحديثة، ومنها الإسلامية، سعت بكل ما أوتيت من مقدرات إلى ربط أطراف العالم المعروف حينها، بل إن فكرة ثورة الاتصالات والمعلومات التي تتميز بها العولمة هي في واقع الأمر نبوءة قرآنية عظيمة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[1]، فتزويج النفوس، أي اتصالها واجتماعها على تباعد المسافات، هو تحقق للنبوءة السابعة من سلسلة نبوءات سورة التكوير الخمس عشرة. أما منتقدو العولمة من المسلمين ففاتهم إدراك أنها كسكين ليس محمودًا في ذاته أو مذمومًا في ذاته، وإنما نفعه وضرره مرهون بممسكه.

وعلى ذكر العولمة، يدلي فريق تحرير التقوى بدلوه، ارتكازًا على خطبة لحضرة خليفة الوقت، سيدنا مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز)، وقد أسهب فيه عارضًا سيرة حضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويُلمح بين ثنايا هذه الخطبة الثرية بالدقائق الروحية والتاريخية الكثير من الملامح «العولميَّة» والتي تبدت في انمحاء الفوارق بين الشعوب التي فتحها المسلمون في القرن الأول الهجري الموافق للقرن السابع الميلادي، فإن أصر البعض على عزو مظاهر العولمة إلى الحضارة الغربية، فعليهم الإقرار بأن أساس الفكرة إنما انتقل إلى الغرب عبر جسر الحضارة الإسلامية، والذي لا زال ممتدًّا.

ولأن لكل شيء نفعه وضرره، بما تحدده طريقة استعماله، فنسأل الله تعالى أن يمتعنا بمزايا العولمة ويحمينا من مساوئها، هو المطلع على الأحوال، والعالم بعواقب الأعمال، آمين.

الفرق بين إسراء موسى عليه السلام وإسراء المصطفى صلى الله عليه وسلم

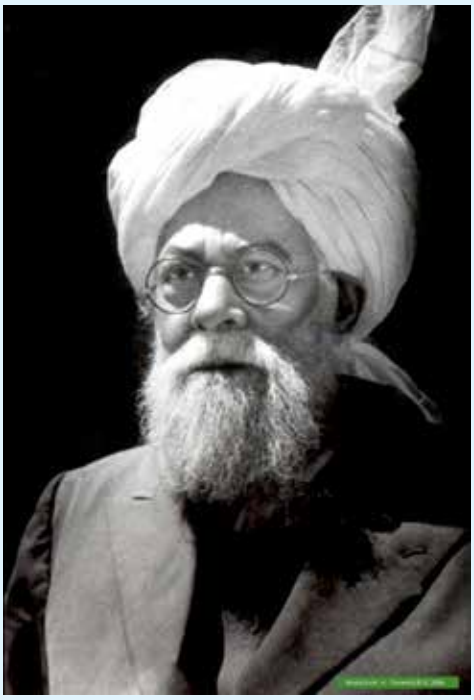

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه

الخليفة الثاني لحضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ سورة الكهف

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف ٧٢)

شرح الكلمات:

فانطلَقا: انطلقَ: ذهَب (الأقرب).

خرَقها: خرَق الثوبَ: مزَّقه (الأقرب). والخَرْقُ قطعُ الشيء على سبيل الفساد مِن غير تدبُّر ولا تفكُّر (المفردات).

إِمْرًا: الإمرُ: العجيبُ والمنكَرُ (الأقرب).

التفسير:

من هنا تبدأ واقعة إسراء موسى عليه السلام، حيث عُقدت المقارنة بين أحوال الأمة المحمدية وأحوال الأمة الموسوية. كان أستاذي المكرم حضرة المولوي نور الدين رضي الله عنه يقول: إن الفرق بين إسراء رسول الله وبين إسراء موسى عليهما السلام يتمثل في أن نبينا صلى الله عليه وسلم اجتنب السؤال، ولكن موسى عليه السلام لم يستطع الصبر ولم يمسك عن السؤال؛ وكان هذا إشارة إلى أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستتمسك بالدين صابرةً، ولكن أمة موسى ستتخلى عن الدين لقلة صبرها. ولا شك أن هذه إشارة لطيفة، وقد أكدتها الأحداث.

وكان حضرته يقول أيضًا: لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسراء

* العنوان الرئيسي من إضافة أسرة «التقوى»

الفرق بين إسراء رسول الله وبين إسراء موسى عليهما السلام يتمثل في أن نبينا ﷺ اجتنب السؤال، ولكن موسى عليه السلام لم يستطع الصبر ولم يمسك عن السؤال؛ وكان هذا إشارة إلى أن أمة محمد ﷺ ستتمسك بالدين صابرةً، ولكن أمة موسى ستتخلى عن الدين لقلة صبرها. ولا شك أن هذه إشارة لطيفة، وقد أكدتها الأحداث.

ثلاثة أمور، كذلك رأى موسى أيضًا في الإسراء ثلاث واقعات.

وأقول: ومما فتح الله عليّ من علمه هو أن هذين الإسراءين لا يتشابهان في عدد الواقعات الحاصلة فيهما فقط، بل أيضًا في تفسير هذه الواقعات. ورغم اختلافهما من حيث اللغة التمثيلية، فإن الحقيقة واحدة. وكان هذا ضروريًّا، لأن إسراء موسى عليه السلام كان يتضمن النبأ عن ظهور محمد ﷺ، فكان لزامًا أن تتم فيه الإشارة إلى واقعات الإسراء المحمدي. أما «السفينة» فلا أتذكر الآن تفسير أستاذي المكرم لها، ولكنني أفسرها بمعنى المال، لأن السفينة لها معاني كثيرة في علم تعبير الرؤيا، ومنها المال أيضًا (تعطير الأنام: كلمة السفينة)، وأرى أن هذا هو المراد في هذا الكشف، لأن القرآن أيضًا يؤكد ذلك حيث يقول ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (الإسراء: ٦٧). والمراد من «الفضل» هنا المال والثروة. وركوبهما السفينةَ يعني أنه سيأتي على الأمتين الموسوية والمحمدية زمان تُرزَقان فيه الثروة المادية رغدًا.

بعدها تقول القصة إنهما لما رَكِبا السفينةَ خرَقها صاحب موسى عليهما السلام.. أي أخرجَ ألواحها وجعَلها قِطَعًا، حيث يقال خرَق الثوب أي مزّقه وجعَله قطعًا. فاعترض عليه موسى- وبتعبير آخر اعترض قومُه - وقال: أتريد بذلك أن تُغرق أهل السفينة؟ لقد جئتَ أمرًا منكَرًا.

وخرقُ السفينة عندي يعني أن محمدًا ﷺ قام بخرق في دنيا أُمّته من خلال كثرة الأحكام الشرعية المتعلقة بالمال. فمثلاً أمرهم أوّلاً بأداء الزكاة التي تتسبب في نقصان المال في الظاهر. ثم أمرهم بالصدقات. ثم أصاب في أموالهم إذ منعهم من أخذ الربا، ثم قام بتوزيع أموالهم بأحكام الإرث، وهكذا حالَ دون تكدس الأموال. وكأنه ﷺ دمّر حياتهم الدنيوية في نظر أهل الدنيا، أما في نظر أهل الصلاح والتقوى فإنه ﷺ صان قومه من التأثير السيئ لحُب الدنيا ووقاهم من عبودية أهل الثراء.

إن هذا التعليم يصعب جدًّا قبولُه على أتباع السلسلة الموسوية، اليهودِ والنصارى. مما لا شك فيه أن النصارى يقولون بأفواههم إن «مرور جَمَلٍ مِن ثقبِ إبرةٍ أيسرُ مِن أن يدخل غنيٌّ في ملكوت السماوات» (مرقس ١٠: ٢٥)، ولكنهم يعملون خلاف ذلك. إن جميع القوانين في بلادهم تساعد على تراكم ثروة الأغنياء. ليس عندهم أي أمر بوجوب أداء الزكاة. كما أن لهم حرية تامة للتعامل الربوي. ولعبُ الميسر غير محرم عندهم. ولا يوجد في بلادهم قانون ينص على تقسيم تركة الميت بين الوَرَثة الكثيرين؛ بل يمنح معظم أغنيائهم ثروتهم أكبرَ أبنائهم لتزداد العشيرة الواحدة ثراءً. وكذلك لم يحفظ شرعُهم حقوق العُمّال، في حين

إن الإسلام قد سنّ قوانين عديدة لحماية حقوقهم كيلا يحتكر حفنةٌ من الأثرياء الأموالَ ويستعبدوا الفقراء. هذه هي الأحكام الإسلامية التي بسببها يخاف اليهود والنصارى من الدخول في دين الإسلام ظانين أنها بمثابة غرق القوم ودمارهم.

هذا هو الدرس الأول الذي تلقاه موسى عليه السلام في إسرائه. وهكذا حصل تمامًا مع النبي ﷺ ليلة الإسراء حيث رأى في أول الأمر امرأة عجوزًا، ثم عُرضت عليه كأس الماء. وقد عبَّر جبريل عليه السلام العجوزَ بالدنيا والماءَ بالمال، وقال للنبي ﷺ: لو شربتَ الماء لغرَقتَ أنت وأُمّتُك، أي لشغلت أمورُ الدنيا أُمتَك، وضعُفتْ علاقتُها بالله تعالى.

لاحِظِ البونَ الشاسع بين أفكار قوم موسى وقوم نبينا الكريم عليهما السلام! فجبريل عليه السلام يقول للرسول ﷺ: لو شربتَ الماء لغرَقتْ أمتك، وكأنه يعتبر السفينةَ الصالحة – أي الانشغال بالحياة المادية – غرقًا، ولكن موسى عليه السلام أي قومه يعدُّ السفينةَ المخروقة – أي تطبيقَ أحكام الزكاة وغيرها التي تحول دون احتكار الأموال الدنيوية في أيدي البعض – غرقًا. فكيف يمكن إذًا أن يتعاون الفريقان في العمل مع هذا الاختلاف الشديد في الآراء، وإلى متى يمكن أن يتحمل أحدهما الآخر كرفيق؟

كما يتضح من القرآن الكريم أيضًا أنه كما اعترض موسى عليه السلام على عبد الله هذا لما خرق السفينة كذلك اعترضت أمته على رسولنا الكريم ﷺ أنه يُهلك قومه بأخذ التضحيات المالية منهم. وقد سجل القرآن الكريم اعتراض اليهود هذا كالآتي: ﴿وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ﴾ (المائدة ٦٥).. أي تقول اليهود – نظرًا إلى مطالبة النبي ﷺ المؤمنين بالإنفاق في سبيل الله – لماذا حمّل محمد قومه هذا العبء الثقيل عبثًا؟ هل حصل نقص في خزائن الله حتى يطلب منا أن ننفق من أموالنا المحدودة؟ إنه تعالى قادر على أن يعطي بنفسه مَن يريد من عباده. لماذا نطالَب بالإنفاق على الفقراء والمعوزين؟ وكأنهم قالوا للنبي ﷺ: أتخرق السفينة لتُغرق أهلها؟

كذلك ذكر القرآن المجيد اعتراض الكفار عامة – بمن فيهم اليهود والنصارى أيضًا – بقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يس: ٤٨).. أي يقول لهم رسول الله ﷺ: إن هذا المال الذي أعطاهم الله إياه ليس لهم فحسب، بل هو للعالم كله، فليُنفِقوا منه على عباد الله الفقراء، فيرد الكفار على المسلمين: أنُطعِم مَن لو يشاء الله أطعمَه؟ أي إذا لم يُطعِمهم الله من خزائنه الواسعة التي ما لها من نفاد فكيف يمكن لنا أن نرزقهم من أموالنا المحدودة؟ إنكم أيها المسلمون في ضلال مبين حيث تضيعون أموالكم بهذا الأسلوب!!

إن مثل هذه الاعتراضات كانت ولا تزال تُثار بكثرةٍ من قبل اليهود وغيرهم من الكفار إلى يومنا هذا. ولكن الذي يحبُّ الله تعالى حبًّا صادقًا يختار لسفره في هذه الدنيا سفينةً مخروقة بدلاً من سفينة سليمة تُلهي قلبَه عن ذكر الله تعالى. وهذا الأمر الرباني يمثل أكبر ابتلاء للنصارى لأنهم أكثر الناس أموالاً.

واعلم أن هذه الآية أيضًا تؤكد كون هذه الواقعة كشفًا، وإلا لغرقت السفينة حين خرقها العبد.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف ٧٣)

التفسير:

أي لقد قلت لك منذ البداية إن ما بين تعليمي وتعليمك

كما يتضح من القرآن الكريم أيضًا أنه كما اعترض موسى عليه السلام على عبد الله هذا لما خرق السفينة كذلك اعترضت أمته على رسولنا الكريم ﷺ أنه يُهلك قومه بأخذ التضحيات المالية منهم. وقد سجل القرآن الكريم اعتراض اليهود هذا كالآتي: ﴿وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ﴾(المائدة ٦٥).. أي تقول اليهود - نظرًا إلى مطالبة النبي ﷺ المؤمنين بالإنفاق في سبيل الله - لماذا حمّل محمد قومه هذا العبء الثقيل عبثًا؟

ما بين السماء والأرض، ولا يمكن أن ترافقني في سفري إلا إذا قتلتَ أهواء نفسك تمامًا.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (الكهف ٧٤)

شرح الكلمات:

لا تُرهِقْني من أمري عُسرًا: أي لا تُعسِرْني، مِن أرهَقَه عُسرًا: كلَّفه إياه (الأقرب).

التفسير:

طلَب موسى عليه السلام من ذلك العبد أن يعفو عنه هذه المرة، وأنه لن يعود لمثل هذا أبدًا.

ولقد أشار الله تعالى هنا إلى أن اليهود والنصارى سيصالحون محمدًا ﷺ ويسالمونه بادئ الأمر، ولكنهم سيبدأون في الاعتراض عليه فيما بعد، فتنقطع الصلات بينه وبينهم في نهاية المطاف. وهذا ما حصل بالضبط، فلما قدم الرسول ﷺ المدينةَ صَالَحَهُ اليهود ولحِقوا بحزبه أول الأمر، ثم خاصموه تهربا من تقديم التضحيات الواجبة عليهم كونهم حلفاءه. فمثلا غُرم المسلمون بِدِيَةٍ ذات مرة، وكان لزامًا على اليهود أداءُ جزء منها بموجب المعاهدة القائمة بين الطرفين، وعندما طُلب من بني قينقاعبأداء ما عليهم خاصموا النبيَّ ﷺ (السيرة الحلبية: غزوة بني النضير).

وهكذا كان حال النصارى، فإن صلاتهم بالمسلمين كانت على ما يرام في بادئ الأمر، حتى إن رسول الله ﷺ لما بعث الرسائل إلى الملوك مدَحه قيصرُ الروم (البخاري: بدء الوحي)، ولكنه لما رأى أن سياسة الدولة الإسلامية تتعارض مع سياسة الدولة المسيحية بدأ في محاربة الإسلام، فذاق وبال أمره في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بحيث لم تندثر آثار ذلك الوبال لقرون طويلة.

مِن نَسائِمِ الرَّوضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

أحاديث نبوية في التجارة الـمرْضِيَّة وفضل الإنفاق

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ». (جامع الترمذي، كتاب البيوع عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». (صحيح البخاري، كتاب الزكاة)

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ». (صحيح البخاري، كتاب الإيمان)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ. وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ. وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ». (جامع الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ)

هكذا تكلم المسيح الموعود

ربِّ ظهر الفساد في البرّ والبحر

ربِّ ظهر الفساد في البرّ والبحر، والعمارات والصحراء، وأرى عبادَك في البلاء، وحيطانَك بالبيداء، ودينَك في البأساء والضرّاء، وأرى الإسلامَ كمحتاجٍ تَرِبَ بعد الإتراب، أو كشيخٍ مرتعش تباعدَ من زمان الشباب، أو كشُذّاذِ الآفاق، أو كغريبٍ تناهى عن الرِّفاق، أو كحُرٍّ ابتُلِيَ في الإرقاق، أو كيتيم سقط من الآماق. يميس الباطلُ في بُرْدِ الاستكبار، ويُلطَمُ الحقُّ بأيدي الأشرار. يسعون لإطفاء نوره سَعْيَ العفاريت، واللهُ خيرٌ حافظًا ومَنْ لنا غير ذلك الخِرّيت؟ انْتهى أمرُ الدينِ إلى الكساد، وثارتْ بالأحداث حصْبةُ الفساد وجُذامُ الارتداد. خرجوا مِن قيود الشريعة الغرّاء، ونبذوا أنفسهم بالعراء. تركوا أسوةً حسنةً، واتّخذوا الفلاسفة الضالّة أئمّةً، واستحْلَوا كلامهم واستجادوا أوهامهم، وأُشرِبوا في قلوبهم عِجْلَ خيالاتِ اليوْرِفِين*، وما هم إلا كجسدٍ له خُوار، وما شُمُّوا عرْف العارفين.

وأيْمُ اللهِ، قد كنت أُقمتُ مِن الله لأجدّد الدين بإذنه، وأجدعَ أنْفَ الباطل مِن مارِنه، وأُمرتُ لذلك من الله القدير البديع، فلبّيتُ دعوته تلبية المطيع، وبلّغتُ أوامره وبذلت فيها جهد المستطيع. فارتاب القوم بعَزْوتي، وأَبَوا تصديق دعوتي، وسُبِرَ فيه غورُ عقلهم ودعوى نقلهم. فاشتعل المبطلون، وظنّوا بي الظنون، ونهضوا إليّ بالتكفير، وما لهم بذلك مِن علم مثقالَ القِطْمير. دخلوا فيما لم يعلموا، وأخذوا اللعن شِرعةً، ولم يفتّشوا حقيقةً. وكلُّ ذلك كان مِن لهبِ الغِلّ، أَخَذَهم كداءِ السلّ.

وأما أنا فما كنتُ أن آبى مِن أمر ربّي، أو أفتري عليه مِن تلقاء نفسي. هو محسني ومنعمي. أسبغَ عليّ مِن العطاء، وأتمّ عليّ من كلّ الآلاء، وأعطاني توفيقًا قائدًا إلى الرشد، وفَهْمًا مُدرِكًا للحقّ، وآتاني ما لم يُؤْتَ أحدٌ من الأقران، وإنْ هي إلا تحديث بآلاء الرحمن. هو كفلني وتولّى، وأعطى ما أعطى، وبشّرني بخير العاقبة والأُولى، ودنا مني وأدنى، وحمدني مِن عرشه ومشى إليّ، ورفعني إلى السماوات العُلى. وتلك كلها من بركات المصطفى، الظلُّ بأصله اقتدى، فرأى ما رأى. فالآن لا أخاف ازدراءَ قادحٍ، ولا هَتْكَ فاضحٍ، وأفوّض أمري إلى الله. إنْ أكُ كاذبًا فعليّ كذبي، وإنْ أَكُ صادقًا فإن الله لا يضيع أمر الصادقين. (مرآة كمالات الإسلام ص ١٣ و١٤)

* أي الأوروبيين. (التقوى)

سيدنا عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه وَجَوَانِبٌ مِنْ رِيَادَتِهِ الإِصْلَاحِيَّة، المَدَنِيَّةِ وَالعَسْكَرِيَّةِ

خطبة الجمعة التي ألقاها سيدنا مرزا مسرور أحمد
أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام
بتاريخ 2021/7/9 في مسجد مبارك، إسلام آباد تلفورد بريطانيا

أشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّين﴾. آمين.

سيدنا عمر رضي الله عنه ومؤسسة القضاء، إنشاؤها واحترامها

استمرارًا في تناول سيرة عمر رضي الله عنه. ورد عن إنشاء قسم القضاء أن عمر رضي الله عنه أنشأ دار القضاء بشكل رسمي وأقام المحاكم في جميع الأمصار وعين فيها القضاةَ، وأصدر قوانين خاصة بالقضاء، وكان يختار الفقهاء ليكونوا قضاةً، ولم يكتفِ بذلك فحسب بل كان يمتحنهم أيضًا، وجعل لهم رواتب جيدة لكي لا يخطر ببالهم الخطأ والغش والخيانة في الحكم، وكان يستقضي ذوي مال وحَسَب لكي لا يُرعبوا عند الحكم. وأوصى عمر رضي الله عنه المساواة والإنصاف في الحكم، كان بين عمر وأُبي بن كعب نزاع فادعى أُبي بن كعب على عمر في محكمة زيد بن ثابت رضي الله عنه، فدعاهما زيد وأبدى احترامًا لعمر رضي الله عنه فقال عمر: جُرتَ في أول قضائك. وجلس عمر مع أُبي. كان يقصد أننا خصمان فيجب أن تحسب كلينا خصمين وتُجلسَني مع خصمي دونما تمييز.

قال المصلح الموعود رضي الله عنه وهو يذكر هذا الحادث: ذات مرة حدث نزاعٌ بين الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه وبين أُبي بن كعب، ورُفعت القضية إلى القاضي الذي استدعى عمرَ رضي الله عنه. وحين وصل عمرُ رضي الله عنه المحكمة ترك القاضي مكانه احترامًا له لأنه خليفة. ولكن عمر رضي الله عنه جلس مع الخصم وقال للقاضي: هذا أول ظلمك، لأنه ينبغي ألا يكون هناك فرق بيني وبين خصمي في هذا الوقت.

الإفتاء رافد من روافد القضاء

وأنشأ عمر رضي الله عنه مؤسسة الإفتاء أيضًا وذلك لتعليم قانون الشريعة. وعيَّن بعض الصحابة للإفتاء وأمر بعدم الفتوى بغيرهم. وكان من هؤلاء الْمُفتين علي وعثمان ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو هريرة وأبو الدرداء رضي الله عنهم. وإذا أفتى أحد

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

غيرهم منعه عمر ﷺ، وكان عمر ﷺ يفحص هؤلاء المفتِين أيضًا بين حين وآخر.

قال المصلح الموعود ﷺ بهذا الخصوص: وهناك قسم للإفتاء، وفي زمن النبي ﷺ وبعده في زمن خلفائه وصحابته لم يكن مسموحًا للجميع بالإفتاء. وكان عمر ﷺ يحتاط في ذلك لدرجة أن صحابيًّا –كان عبد الله بن مسعود على الأغلب، وكان عالمًا بالأمور الدينية وإنسانًا وجيهًا– أفتى الناسَ في أمر فبلغ ذلك عمر ﷺ فاستدعاه فورًا وسأله هل أنت أمير أم هل عيّنك الأمير للإفتاء؟ الحق أنه لو أُعطي كل شخص حق الإفتاء لربما حدث كثير من المشاكل وتسببت كثير من الفتاوى في ابتلاء عامة الناس، لأنه في بعض الأحيان يكون هناك حكمان مختلفان لأمر واحد، ويكون كلاهما صحيحًا، يعني يكون الفتوى بحسب الحالة، وإن التأمل في المسائل يدل على وجود فسحة فيها، فلحالةٍ حُكْم ولأخرى حكم آخر، ولكن يصعب على عامة الناس أن يستوعبوا كيف يصح كلا الحكمين، فيقعون في ابتلاء.

استحداث المنظومة الأمنية

ثم أنشأ عمر ﷺ قسم الشرطة. فاستنّ نظام العسس للحفاظ على أمن الدولة، ووضَع له صلاحياتِ الاحتساب والأمن والسلام وحراسة الأسواق وغيرها. أي الاهتمام بكون الأمور تجري على ما يُرام، وألا تُغصب حقوق الناس وتؤتى لأهلها. كانت لهذا القسم صلاحيات الإشراف على الأمور الإدارية مثل الأمن وحراسة السوق وغيرها ما لم تُرفع الأمور إلى القاضي.

وبنى عمر ﷺ السجون أيضًا، ولم تكن هناك سجون قبل ذلك، وكانت عقوبات شديدة تُفرض على المجرمين.

جانب من إصلاحاته ﷺ الاقتصادية

ثم هناك بيت المال، وكان قبل عمر ﷺ كلما أتى مال وُزّع فورًا. وفي عهد أبي بكر ﷺ اشتُري منزل ليكون وقفا لبيت المال، ولكنه ظل مغلقًا لأن المال الوارد كان يُوزّع فورًا. في العام الخامس عشر للهجرة قدمت من البحرين خمسمئة ألف درهم فاستشار عمر ﷺ الصحابة في هذا المال. فكان أحد الآراء أن سلاطين الشام يدوّنون ما يأتيهم بديوان خاص، فأحب عمر ذلك وأسس في المدينة «بيت المال» (الديوان)، وجعل عبدَ الله بن الأرقم مسؤولًا لهذا الديوان، وبعد ذلك أُنشئت الدواوين في جميع الأمصار وعواصمها. كان عمر شديد الاقتصاد في بناء البنايات، ولكنه كان يبني بنايات محصنة وجيدة للدواوين. ولاحقًا قرر عليها الحراس أيضًا. كان هناك نظام كامل للحراسة.

كان عمر ﷺ بنفسه يحافظ على أموال بيت المال، ورد في التاريخ عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان في ماله بالعالية في يوم صائف، (والعالية وادٍ بين المدينة ونجد تبعد من أربعة إلى ثمانية أميال) إذ رأى (عثمان ﷺ) رجلًا يسوق بِكرين (من الإبل)، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال عثمان: ما على هذا لو قام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح، ثم دنا الرجل، فقال عثمان لي: انظر، فنظرتُ، فإذا عمر بن الخطاب. فقلتُ: هذا أمير المؤمنين. فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب، فإذا لفح السموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال لعمر ﷺ: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفًا، وقد مُضي بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما. فقال عثمان ﷺ: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظل ونكفيك، أي نحن في الخدمة وندبّر لإرسالهما. فقال عمر: عد إلى ظلك، (قال مولى عثمان) فقلتُ: عندنا من يكفيك، فقال: عد إلى ظلك، فمضى عمر. فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين، فلينظر إلى هذا. (معرفة السنن والآثار باب الحمى)

وفي رواية أخرى عن عمر بن نافع الثقفي عن أبي بكر العبسي قال: دخلت حين الصدقة مع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، فجلس عثمان في الظل، وقام عليّ على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردتان سوداوان، متزر بواحدة وقد وضع الأخرى على رأسه، وهو يتفقد إبل الصدقة، فيكتب ألوانها وأسنانها. فقال علي لعثمان: أما سمعت قول ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وأشار علي بيده إلى عمر، فقال: هذا هو القوي الأمين. (أسد الغابة)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ ذاكرًا هذه القصة: لقد رُوي عن عثمان ﷺ أنه كان جالسًا في قبته ذات يوم، وقد أنهكه الحر الشديد بحيث لم يقدر على فتح بابها. فرأى مِن نافذتها شخصًا يمشي في القيظ، فقال لخادمه: انظرْ من هذا. فأزال الستار فإذا شخص قد لفح الحرّ وجهه بشدته. فقال: لعله مسافر. فلما اقترب من قبته عرف أنه عمر ﷺ، فقلق عثمان ﷺ وقال له: ماذا تفعل في هذا الحرّ يا أمير المؤمنين؟ قال: أبحث عن بعير فُقد من بيت المال.

لقد ذُكر حادث فقدان البعير من قَبل أيضًا.

ذات مرة كان عمر ﷺ يوزّع أموال بيت المال فجاءت ابنته وأخذت من هذه الأموال درهمًا فهبّ عمر ﷺ ليستعيده منها، فتحرك الرداء قليلًا عن إحدى كتفيه. انصرفت البنت إلى أهل بيتها باكية ووضعت الدرهم في

لقد أمر عمر ﷺ ببناء المباني المختلفة لسهولة العوام، بما فيها المساجد والمحاكم ومعسكرات الجيش، والثكنات، والمكاتب المختلفة لإنجاز أعمال البناء في البلاد، والشوارعُ والجسور ودور الضيافة وغيرها. وحفر الينابيع وبنى النُزُل بين مكة والمدينة والثكنات لكي تتم الحراسة على ما يرام ولتوفر للناس الفنادق وما شابهها للإقامة والاستراحة. وقد ورد عن عمارة عمر ﷺ المدنَ أنه عمّر في عهده مدنًا كثيرة.

فمها. ولكن عمر ﷺ أخرجه من فمها بإصبعه وأعاده إلى أموال بيت المال وقال: أيها الناس إن لعمر وآله سواء أكانوا من قريب أو بعيد نصيب مثل نصيب عامة المسلمين ولا أكثر من ذلك.

وجاء في رواية ما مفاده: إن أبا موسى نظّف بيت المال مرة ووجد درهمًا فمرّ من هناك ابن صغير لعمر ﷺ فأعطاه أبو موسى ذلك الدرهم. فلما رأه عمر ﷺ في يده سأله عنه، فقال: أعطانيه أبو موسى. فلما علم عمر ﷺ أن هذا الدرهم من بيت المال قال ما معناه: يا أبا موسى ألا ترى بيتًا في أهل المدينة أحقر من بيت عمر؟ لقد أردتَ ألا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا ويطالبنا عن هذا الظلم، ثم أعاد الدرهم إلى بيت المال.

الطفرة العمرانية في عهده ﷺ

لقد ورد عن أعمال الرفاهية العامة أن سيدنا عمر ﷺ قام بأعمال كثيرة لصالح الناس وخيرهم. فيما يلي قائمة القنوات التي أمر بإجرائها لتحسين أمور الزراعة ولتوفير الماء للناس:

نهر أبي موسى، وطولها تسعة أميال يبدأ من نهر دجلة ويصل إلى البصرة.

ونهر معقل وهو أيضًا يبدأ من نهر دجلة.

ونهر أمير المؤمنين. وبأمر من سيدنا عمر ﷺ جُمع بين نهر النيل والبحر الأحمر.

عندما وقع القحط في عام ١٨ من الهجرة كتب عمر ﷺ إلى عمرو بن العاص للمساعدة. ولما كانت المسافة طويلة تأخرت المساعدة. دعا سيدنا عمر ﷺ عمرو ابن العاص وقال له: لو تم الجمع بين نهر النيل والبحر لما وقع القحط في بلاد العرب أبدًا. كان عمرو بن العاص واليًا فأمر بعد العودة بحفر القناة بين البحر الأحمر والفسطاط فكانت السفن تصل إلى جدَّة وهي ميناء المدينة. بلغ طول هذه القناة إلى ٢٩ ميلًا، وأُعِدّت في غضون ستة أشهر. فأراد عمرو بن العاص أن يجمع بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وذلك بشق قناة طولها ستون ميلا قرب فرما يربط بها البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط. (فرما بلدة ساحلية بنواحي مصر) ولكن عمر ﷺ لم يوافق على ذلك لئلا يتعرض الحجيج للنهب والسرقة على أيدي الإغريق. لو سُمح لعمرو ابن العاص بذلك لحصل العرب على شرف إقامة قناة السويس التي شُقت فيما بعد.

لقد أمر عمر ﷺ ببناء المباني المختلفة لسهولة العوام، بما فيها المساجد والمحاكم ومعسكرات الجيش، والثكنات، والمكاتب المختلفة لإنجاز أعمال البناء في البلاد، والشوارع والجسور ودور الضيافة وغيرها. وحفر الينابيع وبنى النُزُل بين مكة والمدينة والثكنات لكي تتم الحراسة

على ما يرام ولتوفر للناس الفنادق وما شابهها للإقامة والاستراحة. وقد ورد عن عمارة عمر ﷺ المدنَ أنه عمّر في عهده مدنًا كثيرة. وقد انتبه عند عمارتها إلى موقعها الدفاعي وفوائدها الاجتماعية والاقتصادية. إن مواقعها تدل على بصيرة عمر ﷺ الحربية والسياسية واهتمامه بمبادئ العمارة. كانت هذه المدن مفيدة في حالة الحرب وحالة الأمن على حد سواء. كان عمر ﷺ يسعى جاهدا إلى أن يعمّر مدنا على تخوم الجزيرة العربية الملتصقة ببلاد العجم بُغية تفادي الهجوم المباغت. كانت مواقع تلك المدن مفيدة للعرب. وبجانب المدن تكون أراض تفيد المرعى وما يملك العرب، وبجانب آخر أراض خضراء يملكها العجم تتوفر فيها الفواكه والغلال وما شابهها، أي كانت تلك الأراضي زراعية. وقد تم الاهتمام أيضًا عند عمارة المدن ألا يحول بينها نهر أو بحر. وقد عمّر عمر ﷺ البصرة والكوفة والفسطاط وغيرها وعمّرها على أسس متينة وسليمة جدًّا. وجعل شوارعها وطرقها واسعة ونسقّ المدن على أحسن وجه. وأسلوب تفكيره ﷺ هذا يدل على أنه كان بارعًا وفريدًا في هذا العلم.

ديوان الجند والاهتمام بالتفوق العسكري

أسس عمر ﷺ ديوان الجند، ونسّق الجيش ونظّمه على أحسن وجه وصنع السجلات بحسب مراتب الجنود وحدد لهم رواتب. قسَّم عمر ﷺ الجيش إلى قسمين. القسم الأول كان يتضمن جنودًا يشتركون في الحرب عمليًّا، والقسم الثاني يحتوي على المتطوعين الذين كانوا يُدعون عند الضرورة. كان عمر ﷺ كثير الاهتمام بترتيب الجيش، وقد أصدر أوامر صارمة بألا يقوم أحد منهم بأعمال الزراعة أو التجارة في البلاد المفتوحة. فقد منع ﷺ من أن يخوض أحد منهم في أعمال التجارة أو الزراعة في مناطق يفتحونها لأنهم كانوا جنودًا وكان من شأن خوضهم في هذه الأعمال أن يضر مهارتهم الحربية. بينما نرى في هذه الأيام في بلاد المسلمين أن أعضاء الجيوش يخوضون في التجارة. بل يقال عن أحد البلاد أن الجنود كانوا فيما مضى يهتمون بحرفيتهم العسكرية فور التحاقهم، أما الآن فأول ما يفكر فيه الضباط بعد التحاقهم إذا كان هناك مجمع سكني يُبنى في مكان ما أو إذا كانت هناك ثكنة عسكرية قيد الإنشاء فيحاولون للحصول عليها وتسجيلها باسمهم. وبسبب ذلك تقلّ مهاراتهم ومهنيتهم وحرفيتهم العسكرية.

على أية حال، لقد ورد أيضًا أنه كان يهتم بالطقس عند الهجوم على بلاد حارة وباردة لئلا تتضرر صحة الجنود. كان حضرته قد أعطى الجنود تعليمات بأن عليهم السباحة والرماية والمشي حفاة. كان الجنود يُعطون عطلة بعد كل أربعة أشهر للعودة إلى وطنهم لزيارة أهلهم. كانوا مأمورين أيضًا ألا يركبوا الحصان بواسطة الرِّكاب بل كان مطلوبًا منهم أن يركبوا

قـام سـيدنا عمـر ﷺ بتوسـيع مصلحـة الجيـش. ولم يكـن الجيـش النظامـي مخصوصًـا بقـوم دون قـوم حتـى أنـه لم يكـن هنالـك تمييـز بهـذا الشـأن بـين أهـل ديـن وملَّـة. أمـا الجيـش المتطـوع فـكان فيـه آلاف المجـوس (أي الذيـن لا يؤمنـون باللـه ويعبـدون النـار والشـمس)، وكانـوا يتلقـون رواتـب مسـاوية لرواتـب المسـلمين، بـل نجـد المجـوس أيضًـا في الجيـش الإسـلامي النظامـي.

بالقفز، وألا يلبسوا لباسًا ناعمًا، وأن يجتنبوا ضوء الشمس وحرارتها، وألا يستحموا في الحمامات لأن ذلك يؤدي بهم إلى الكسل. كان سيدنا عمر ﷺ يرسل الجنود في فصل الربيع إلى مناطق خضراء، وكان يهتم بهذا الأمر أيضًا عند بناء الثكنات العسكرية. فكان إرسالهم إلى مناطق خضراء ضروريًا لتتحسن صحتهم بمكثهم في مثل هذه المناطق. فكان يهتم بهذه الأمور عند بناء الثكنات فكان يبنيها في مثل هذه المناطق. وبنى ﷺ ثكنات عسكرية في مدن مثل المدينة والكوفة والبصرة، والموصل والفسطاط، ودمشق وحمص، والأردن وفلسطين حيث كان الجنود موجودين فيها دائمًا. كان هنالك أربعة آلاف حصان موجودة في كل آن معًا في كل ثكنة رئيسة وكان يُهتَمّ بها اهتمامًا كبيراً. كان يُكتب على سيقان الأحصنة «جيش في سبيل الله». في عهد عمر ﷺ تقدم الجيش الإسلامي في ترتيب الأسلحة الجديدة والعدة والعتاد بما فيها الأسلحة لهدم القلاع كالمجانيق والدبابات.. (علمًا أن الدبابة تُستخدم لهدم قلاع العدو، حيث يجلس الجندي في الدبابة ويقوم بهدم جدران القلعة)

لم يزل أهل الملل الأخرى يتقلدون مناصب مرموقة في الدولة الإسلامية. (أي لم يكن المسلمون وحدهم يُعطَون مناصب عليا، بل كان غير المسلمين وأهل الشعوب الأخرى أيضًا يُعطَون مناصب عليا)

يقول حضرة المصلح الموعود: حتى في عهد خلفاء النبي ﷺ كان هناك اعتراف بحقوق أهل الملل والشعوب الأخرى كلها مع أنها لم تكن كلها قد استوطنت بسلام وأمان في الدولة الإسلامية بعد.

فقد قال العلامة شبلي النعماني بهذا الصدد: قام سيدنا عمر ﷺ بتوسيع مصلحة الجيش. ولم يكن الجيش النظامي مخصوصًا بقوم دون قوم حتى أنه لم يكن هنالك تمييز بهذا الشأن بين أهل دين وملَّة. أما الجيش المتطوع فكان فيه آلاف المجوس (أي الذين لا يؤمنون بالله ويعبدون النار والشمس)، وكانوا يتلقون رواتب مساوية لرواتب المسلمين، بل نجد المجوس أيضًا في الجيش الإسلامي النظامي.

وكذلك كتب شبلي: كما نجد في الجيش الإسلامي شجعان اليونان والرومان أيضًا، فقد شارك خمس مئة منهم في جيش فتح مصر.

(أما اليوم فيقول البعض في باكستان أَخرِجوا الأحمديين من الجيش، لأن المناصب فيه حساسة جدًا. مع أن هؤلاء لو قرأوا التاريخ لوجدوا أن الضباط الأحمديين كانوا أكثر تضحية من غيرهم في الدفاع عن باكستان. على

كل حال، هذه هي تصرفات هؤلاء القوم)

وورد عن سيدنا عمر ﷺ أنه لما أقام عمرو بن العاص ﷺ مدينة الفسطاط (الفسطاط اسم المكان الذي أقيمت فيها أحياء سكنية)، لم يخلُ الجيش الإسلامي من اليهود أيضًا، فقد كان في الجيش الذي فتح مصر ألفٌ من اليهود.

كما أن الثابت من التاريخ أن أفرادًا من الملل الأخرى كانوا يعيَّنون ضباطًا في الجيش الإسلامي المحارب. فقد عيّن ﷺ بعض الفرس أيضًا ضباطًا في الجيش الإسلامي، وقد حفظ التاريخ أسماء بعض منهم، وقد ذكر العلامة شبلي أسماء ستة منهم كالآتي: سياه، خسرو، شهريار، شيرويه، شهرويه وأفرودين.

وكان هؤلاء الضباط يَتَقَاضُونَ الرواتب من خزينة الدولة، وكانت أسماؤهم مسجلة في كشف الرواتب.

وورد في التاريخ أنه في عهد حضرة معاوية كان المسيحي ابن أثال وزيرًا للخزينة.

علمًا أن اسم الأخير منهم هو أفرودين كما كتب حضرة المصلح الموعود في التفسير الكبير، وكما قرأته عليكم آنفًا، وأيضًا كما ذكر العلامة شبلي في كتابه «الفاروق»، أما المصادر العربية فتذكر اسمه أفروذين. أي هناك فرق بسيط، فرق الدال والذال، وقد قمت بهذا التوضيح لأن البعض يبدأون النقاش بصدد هذه الأسماء.

إنجازاته ﷺ الاقتصادية

أما من أجل مراقبة السوق ومراقبة الأسعار، فقد نهى الإسلام عن تخفيض الأسعار إلى حد غير مشروع، وقد جعل سيدنا عمر الناس يلتزمون بهذا الأمر. وقال حضرة المصلح الموعود بصدد النهي عن تخفيض الأسعار لحد غير مشروع: لقد نهى الإسلام عن تخفيض الأسعار لحد غير مشروع، لأن تخفيض الأسعار لحد غير جائز حيلةٌ لكسب المال بطريقة غير مشروعة، حيث إن التجار الأقوياء يجبرون بها التجار الضعفاء على بيع السلع بسعر أقل، وينجحون في تدمير تجارة الضعفاء.

ثمة واقعة من عهد سيدنا عمر تقول أنه بينما كان يتفقد سوق المدينة المنورة ذات مرة، رأى شخصًا من خارج المدينة يبيع الزبيب بسعر لم يكن بوسع تجار المدينة بيعه بذلك السعر، فقال له عمر: إما أن تسحب سلعتك من السوق وتذهب، أو عليك بيعها بالسعر المعقول الذي يبيعه به تجار المدينة.

علمًا أن تجار المدينة لم يكونوا يبيعونه بسعر أغلى، بل كان سعرهم مناسبًا حسب نفقتهم، ومن أجل ذلك أمره سيدنا عمر أن يبيع بسعرهم نفسه. ولما سئل عمر ﷺ عن سبب ذلك أجاب: لو سُمح لهذا ببيع سلعته بهذه الطريقة لتضرر تجار المدينة الذين يبيعونه بسعر مناسب. لا شك أن بعض الصحابة عدّوا تصرف عمر هذا خلافًا لقول رسول الله ﷺ بأنْ لا تتدخلوا في سعر السوق، ولكن اعتراضهم لم يكن في محله، لأن النهي عن التدخل في سعر السوق يعني أن لا تتدخلوا في مبدأ

العرض والطلب، لأن هذا التدخل ضار بلا شك، وعلى الدولة تجنبه، ذلك أن السوق من تلقائها تحدد الأسعار بحسب العرض والطلب، وإذا تدخلت الدولة في ذلك ولم تسمح للسوق بتحديد الأسعار على ضوء العرض والطلب تلقائيًا، تضرر عامة الناس ودُمرت تجارة التجار. غير أن مراقبة الدولة الأسعارَ جائز.

وقد بين حضرة المصلح الموعود ﵁ تفصيل ذلك في مكان آخر فقال: من حقوق المواطنين عدمُ تطرق الفساد إلى المعاملات، ونرى أن الإسلام لم يهمل حقهم هذا أيضًا، وقد نهى عن رفع السعر وبيع الأشياء بسعر أغلى من السعر الحقيقي، كما نهى عن تخفيض الأسعار بهدف الإضرار بالتجار الآخرين وتدمير تجارتهم. أي أن الإسلام قد نهى عن تخفيض الأسعار على سبيل التنافس. فذات مرة كان رجل يبيع العنب بسعر لم يكن بوسع أصحاب المحلات الأخرى بيعه بذلك السعر. فمر به سيدنا عمر وزجره لأنه كان يلحق بذلك الضرر بالتجار الآخرين. باختصار، إن الإسلام قد نهى عن رفع الأسعار كما نهى عن تخفيضها أيضًا لكيلا يتضرر التجار ولا عامة الناس.

نظام التعليم في عهده ﵁

أولى سيدنا عمر ﵁ اهتمامًا خاصًا بالتعليم، فكان أول من أضفى عليه صفة النظامية، فأقام المدارس في كل الأقطار وكان يدرَّس فيها القرآن الكريم والحديث والفقه، واستعمل كبارَ علماء الصحابة للتعليم والتربية فيها، وجعل للمدرسين رواتب.

استحداثه ﵁ التقويم الهجري القمري

هناك روايات شتى تتحدث عن ظروف وملابسات ابتكار فكرة التقويم الإسلامي، والذي ارتبط إنجازه باسم حضرة عمر بن الخطاب ﵁. وورد في رواية في البخاري أن الصحابة لم يعدّوا الأيام بدءًا من بعثة النبي ﷺ ولا من وقت وفاته، بل عدُّوها من هجرته إلى المدينة. وقال العلامة ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري: وَأَفَادَ السُّهَيْلِيّ أَنَّ الصَّحَابَة أَخَذُوا التَّارِيخ بِالْهِجْرَةِ مِنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّل يَوْم﴾، فَمَعْنَى قَوْله: «مِنْ أَوَّل يَوْم» أَيْ دَخَلَ فِيهِ النَّبِيّ ﷺ وَأَصْحَابه الْمَدِينَة، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أما كيف مسّت الحاجة إلى التقويم الهجري، فنجد روايات مختلفة في هذا الشأن. فقد ورد أن موسى بن أبي موسى كتب إلى سيدنا عمر: إِنَّهُ يَأْتِينَا مِنْك كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَارِيخ. فجمع عمر ﵁ الناس للاستشارة.

وقال العلامة ابن حجر: وَأخرج الْبُخَارِيّ فِي «كتاب الْأَدَب» وَالْحَاكِم مِنْ طَرِيق مَيْمُون بْن مِهْرَانَ قَالَ: رُفِعَ لِعُمَر صَكٌّ مَحِلُّه شَعْبَان، فَقَالَ: أَيّ شَعْبَان؛ الْمَاضِي أَوْ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، أَوْ الْآتِي؟ ضَعُوا لِلنَّاسِ شَيْئًا (أي تاريخًا محددًا) يَعْرِفُونَهُ.

وعن ابْن سِيرِينَ قَالَ: قَدِمَ رَجُل مِن الْيَمَن فَقَالَ: رَأَيْت بِالْيَمَنِ شَيْئًا يُسَمُّونَهُ التَّارِيخ، يَكْتُبُونَهُ مِنْ عَام كَذَا وَشَهْر كَذَا، فَقَالَ عُمَر: هَذَا حَسَن، فَأَرِّخُوا.

أما ومَن بدأ التقويم الهجري، فهناك آراء شتى بهذا الصدد أيضًا. ففي قول إن النبي ﷺ نفسه أمر بالتأريخ، وأن بدايته كانت في ربيع الأول. فقد روى الحاكم في كتابه «الإكليل» عن ابن شهاب الزهري أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أمر بالتأريخ، فكُتب في ربيع الأول.

وقال العلامة ابن حجر: هذه الرواية معضلة، (والرواية المعضلة هي التي لا يوجد فيها راويان على التوالي) وفي رواية أخرى أن بداية تأريخ التقويم الهجري كانت يوم مقدم النبي ﷺ إلى المدينة. والمشهور أن بداية تأريخ

التقويم الهجري كانت في عهد خلافة سيدنا عمر ﷺ.

كتب محمد بن يوسف الصالحي صاحب «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»: قال ابن الصلاح: وقفت على كتاب في (الشروط) لأبي طاهر محمش ذكر فيه أن رسول الله ﷺ أرّخ بالهجرة حين كتب لنصارى نجران، وأمر عليًّا ﷺ أن يكتب فيه الخامس من الهجرة (أي السنة الخامسة بعد الهجرة)، فالمؤرخ الأول إذن رسول الله ﷺ وعمر تبعه في ذلك.

والقول الثاني: أَوَّل مَنْ أَرَّخَ التَّاريخ هو يَعْلَى بْن أُمَيَّة حَيْثُ كَانَ بِالْيَمَن، أَخْرَجَهُ الإمام أَحْمَد بِإِسْنَادٍ صَحِيح، لَكِنْ فِيهِ انْقِطَاع بَيْن عَمْرو وَيَعْلَى.

والقول الثالث: بدأ تأريخ التقويم الهجري من عهد عمر.

لماذا كانت بداية التقويم الهجري من الهجرة؟ ورد تفصيل هذا الموضوع أن عمر لَمَّا استشار الناس فيه: قَالَ قَوْم: أَرِّخُوا لِلْمَوْلِد (أي مولد النبي ﷺ)، وَقَالَ قَائِل لِلْمَبْعَث، وَقَالَ قَائِل مِنْ حِين تُوُفِّيَ ﷺ، وَقَالَ قَائِل مِنْ حِين خَرَجَ ﷺ مُهَاجِرًا، فَرَجَحَ عِنْدهمْ جَعْلهَا مِنْ الْهِجْرَة لِأَنَّ الْمَوْلِد وَالْمَبْعَث لَا يَخْلُو وَاحِد مِنْهُمَا مِنْ النِّزَاع فِي تَعْيِين السَّنَة. وَأَمَّا وَقْت الْوَفَاة فَأَعْرَضُوا عَنْهُ لِمَا توقّعَ بِذِكْرِهِ مِنْ الْأَسَف عَلَيْهِ، فَانْحَصَرَ فِي الْهِجْرَة.

أما لماذا اختار الصحابة ابتداء السنة من المحرّم بدلًا من ربيع الأول؟ فالسبب في ذلك أن النبي ﷺ قد عزم عَلَى الْهِجْرَة فِي الْمُحَرَّم، ووَقَعَتْ الْبَيْعَة (أي بيعة العقبة الثانية) فِي أَثْنَاء ذِي الْحِجَّة وَهِيَ مُقَدِّمَة الْهِجْرَة، فَكَانَ أَوَّل هِلَال اسْتَهَلَّ بَعْد الْبَيْعَة وَالْعَزْم عَلَى الْهِجْرَة هِلَال الْمُحَرَّم فَنَاسَبَ أَنْ يُجْعَل مُبْتَدَأ. قال العلامة ابن حجر: وَهَذَا أَقْوَى مَا وَفَقْت عَلَيْهِ مِنْ مُنَاسَبَة الِابْتِدَاء بِالْمُحَرَّمِ.

اختلفت الآراء حول موعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، فبعد إقامته ﷺ في أماكن مختلفة وصل ﷺ إلى المدينة المنورة في ٢٠ سبتمبر ٦٢٢ م الموافق لـ ١٢ من ربيع الأول السنة ١٤ للبعثة النبوية. وبحسب بعض المؤرخين كان ذلك اليوم هو الثامن من ربيع الأول.

ويرى البعض أنه ﷺ غادر في شهر صفر ووصل إلى المدينة في ربيع الأول. ويرى البعض أنه ﷺ بدأ هجرته من مكة في الأول من ربيع الأول ووصل إلى المدينة في الثاني عشر من ربيع الأول.

هناك آراء مختلفة أيضًا حول السنة التي بدأ فيها التقويم الهجري. يقول البعض أنه بدأ في عام ١٦هـ، والبعض يقول أنه حدث في عام ١٧هـ، وعند البعض حدث في عام ١٨هـ، يرى البعض أنه حدث في عام ٢١ هـ. على أي حال، يتفق معظمهم على أن بداية التقويم الهجري كان في عهد عمر.

سك العملة كحلقة من حلقات الإصلاح الاقتصادي

وفقًا لعموم المؤرخين فإن أول عملة معدنية في الجزيرة العربية أصدرها عبد الملك بن مروان.

ويرى بعض مؤرخي المدينة المنورة أنه تم إصدار أول العملات الإسلامية في عهد عمر، وقد نُقِش عليها «الحمد لله» ونُقِش على بعضها «محمد رسول الله» وعلى بعضها «لا إله إلا الله وحده» أما صور الملوك الساسانيين الموجودة عليها مسبقًا فلم يتم التعرض لها.

وبحسب إحدى الدراسات، فقد تم سك النقود الإسلامية

ويرى بعض مؤرخي المدينة المنورة أنه تم إصدار أول العملات الإسلامية في عهد عمر، وقد نُقِش عليها «الحمد لله» ونُقِش على بعضها «محمد رسول الله» وعلى بعضها «لا إله إلا الله وحده» أما صور الملوك الساسانيين الموجودة عليها مسبقًا فلم يتم التعرض لها.

الأولى في دمشق خلال خلافة عمر عام ١٧هـ، لكنها كانت تحمل أيضًا صور أباطرة البيزنطيين والكتابة بالأحرف اللاتينية.

ووفقًا لرواية أخرى، تم استخدام العملة المعدنية لأول مرة في الإسلام في عهد خلافة عثمان في ٢٨هـ، أي في هذا الوقت تم إصدار أول العملات الإسلامية في عهد خلافة عثمان، أما قبل هذا فقد اتخذت –بشكل مؤقت– العملة الرائجة في المناطق الساسانية التي كانت تحمل صور الملوك الساسانيين وأضيف عليها «بسم الله» بخط كوفي.

أوَّليَّات عمر ﷺ

ارتبط اسم حضرة الفاروق عمر بن الخطاب بمجموعة مزايا دعاها البعض من كتاب السير بـ «أوَّليَّات عمر» أو «أوَّليَّات الفاروق»، من ذلك ما ذكره العلامة شبلي النعماني في كتابه «الفاروق» من أن المؤرخين جمعوا ما استحدثه عمر من أمور في عهده وهي تسمى بأوليات عمر، وهي كالتالي:

١. أقام بيت المال.
٢. أنشأ المحاكم وعيّن القضاة فيها.
٣. أصدر تقويمًا يستمر حتى اليوم.
٤. اختار عمر لقب أمير المؤمنين لخليفة الوقت.
٥, دوّن ديوانًا للجند.
٦. حدد رواتب المتطوعين.
٧. أنشأ سجلات المال.
٨. مسح الأراضي وحدد مساحاتها.
٩. قام بالإحصاء السكاني.
١٠. بدأ بحفر القنوات.
١١. أقام الأمصار مثل الكوفة والبصرة والجيزة والفسطاط والموصل وغيرها.
١٢. قسّم البلاد المفتوحة إلى مقاطعات للدولة الإسلامية.
١٣.حدد العشور أي العشر من المدخول أو المحصول كضريبة.

والعشور هو ما بدأ به عمر ﷺ. كانت بدايته كما يلي: عندما كان المسلمون يسافرون إلى البلدان الأجنبية للتجارة يضطرون إلى أداء ضريبة قدرها ١٠ بالمائة على السلع التجارية وفقًا للدستور المحلي. أطلع أبو موسى الأشعري عمر ﷺ على هذا فأمر عمر بأخذ الضريبة نفسها من تجار تلك البلاد إذا أتوا بسلعهم التجارية إلى بلادنا، أي يؤخذ منهم ضريبة قدرها ١٠ بالمائة.

١٤. فرض ضرائب على محاصيل الأرض التي كانت تسقى بماء النهر وعيّن المحصّلين.
١٥. سمح للتجار العسكريين بدخول البلاد والتجارة فيها.
١٦. أنشأ السجون والمعتقلات.

١٧. بدأ باستخدام الدرّة.
١٨. أول من عسعس في الليل بنفسه لتفقد حال رعاياه.
١٩. أنشأ قسم الأحداث أي الشرطة.
٢٠. أقام ثكنات عسكرية في أماكن مختلفة.
٢١. ميّز الخيل الأصيل من الهجين ولم يكن ذلك معروفا بين العرب إلى ذلك الحين.
٢٢. عيّن الكتاب المحلفين.
٢٣. أقام النزل لاستراحة المسافرين بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.
٢٤. أجرى المعاش اليومي لرعاية الأيتام.
٢٥. أنشأ دور الضيافة في ٢٥ مدينة.
٢٦. أصدر قانونًا أنه لا يمكن استعباد العرب حتى لو كانوا كفارًا.
٢٧. أجرى معاشًا للفقراء والمعوزين من النصارى واليهود.
٢٨. أنشأ المكاتب.
٢٩. حدّد رواتب للمعلمين والمدرسين.
٣٠. أقنعَ أبا بكر بجمع القرآن وأنجز هذه المهمة برعايته الخاصة.
٣١. أقام مبدأ القياس.
٣٢. أوجد مسألة العول في الفروض أي اشتراك بعض الأقارب في النفقة وغيرها.
٣٣. أول من بدأ صلاة التراويح جماعة.
٣٤. اعتبر تطليقات ثلاث مرة واحدة طلاقًا بائنًا، وصرح به عقابًا لفاعله.
٣٥. حدّد ٨٠ جلدة حدًّا لشرب الخمر.
٣٦. فرض الزكاة على خيول التجارة.
٣٧. فرض الزكاة على نصارى بني ثعلب بدلاً من الجزية.
٣٨. أوجد طريقًا للوقف.
٣٩. جمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنازة .وهو الطريق المسنون أن هناك ثلاث تكبيرات مع التكبيرة الأولى قبل التكبيرة الأخيرة التي بعدها التسليم. وهو الرائج حتى اليوم.
٤٠. حدّد طريقًا لإلقاء الوعظ في المساجد وأول من ألقى وعظًا هو تميم الداري وكان أول وعظ ألقي في الإسلام.
٤١. حدد رواتب للأئمة والمؤذنين.
٤٢. هيّأ الإضاءة في المساجد ليلًا.
٤٣. أعلن بالعقوبة تعزيرًا على الهجو.
٤٤. منع من ذكر أسماء النساء في الأشعار الغزلية، وكان هذا الطريق رائجًا في العرب منذ أحقاب طويلة.

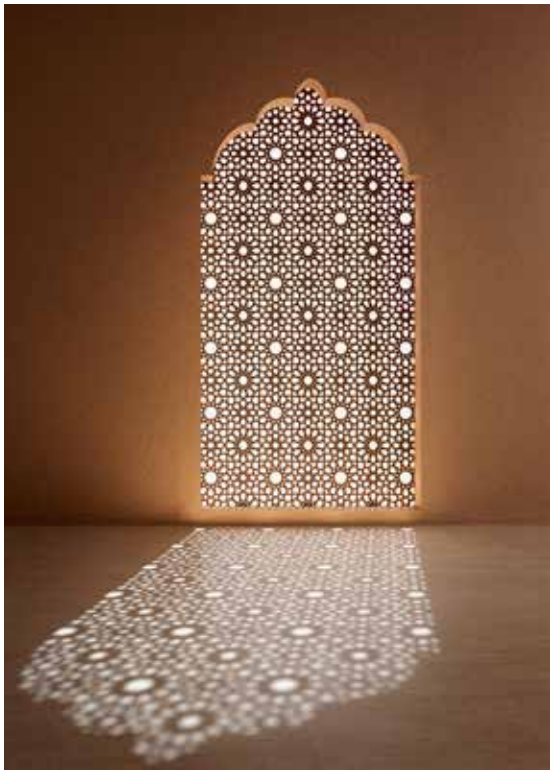

كتب العلامة الشبلي أن هناك أوَّليَّات عمر أخرى، ولكن نعرض عن كتابتها خوفًا من الإطالة.
على أية حال، هذا الذكر مستمر وسأتناوله لاحقًا أيضًا.

الزهد

* ذَكَرُوا عِنْدَ الْحَسَنِ بن علي الزُّهْدَ، فَقَالَ بَعْضُهُم: اللِّبَاسُ، وَقَالَ بَعْضُهُم: الْمَطْعَمُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ: "لَسْتُمْ فِي شَيْءٍ، الزَّاهِدُ: الَّذِي إِذَا رَأَى أَحَدًا قَالَ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي".

* قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَم الزُّهْدُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ، فَزُهْدٌ فَرْضٌ، وَزُهْدٌ فَضْلٌ، وَزُهْدٌ سَلَامَةٌ فَالزُّهْدُ الْفَرْضُ: الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ، وَالزُّهْدُ الْفَضْلُ: الزُّهْدُ فِي الْحَلَالِ، وَالزُّهْدُ السَّلَامَةُ: الزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ.

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةُ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ."

الدنيا

* قَالَ ابْنُ مَسْعُود: الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

* قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا الدُّنْيَا. قَالَ: وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ: «مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، فِي حَلَالِهَا الْحِسَابُ، وَفِي حَرَامِهَا النَّارُ»

*ذُكِرَتِ الدُّنْيَا عِنْدَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَقَالَ: أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ.

تربية الأولاد

قال الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام:

* لن يُعَدَّ الطفلُ أنه قد تلقى تربية حسنة وفق التعريف بالأخلاق والروحانية إلا إذا تحلى بما يلي:

١. أن يكون خلوقًا ويتمتع بالروحانية.
٢. أن يقدر على تحويل الآخرين ليكونوا مثله.
٣. أن يقدر على التقيد بقوانين الجماعة ونظامها.
٤. أن يكنّ لله تعالى حبًّا خالصًا يفوق حبه لأي إنسان أو أي شيء آخر.

* الحقيقة أن الطفل مفطور على التقليد، فإن لم يعلّمه أبواه شيئًا قلّد أفعال الآخرين.

وليعلم البالغ أنه من يوم بلوغه وجب عليه معرفة الله تعالى بالدليل لا بالتقليد ويكفيه من الدليل رؤية نفسه، وترتيب أعضائه، فيعلم أنه لابد لهذا الترتيب من مرتب، كما أنه لابد للبناء من بان.

خِدْعَةُ «الفَجْوَةِ الكُبْرَى»، وَالسَّطْوُ عَلَى الفِكْرِ الاقْتِصَادِيِّ الإِسْلامِيِّ

فرنسا

أحمد دانيال عارف

إن إسهامات الإسلام في الفكر الاقتصادي عديدة ولكن تم تجاهلها. ومن بين ما تجاهلته الرأسمالية الغربية، السمات المميزة للاقتصاد الإسلامي، مثل فرض الضرائب على رأس المال بدلاً من الدخل، ونظام غير قائم على الفوائد أو على الديون والذي يتم فيه استثمار رأس المال بدلاً من إقراضه للتداول.

لا شك أن جوزيف ألويس شومبيتر (Joseph Alois Schumpeter 1883-1950) هو أكثر خبراء الاقتصاد ذكرًا في السنوات الأخيرة، وإن لكتابيه «الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية»، و«تاريخ التحليل الاقتصادي» أثرًا باقيًا إلى يومنا هذا. والواقع أن معظم مؤرخي الفكر الاقتصادي الذين تلوه لم يقوموا إلا بتكرار تحليل «شومبيتر»، ليكرروا بذلك نفس الخطأ الذي وقع هو فيه، فألغوا بجرة قلم ما يزيد عن خمسة قرون من النتاج الفكري الاقتصادي الذي أنجزه مفكرون مسلمون خلال القرون الوسطى. لقد آن أوان تفنيد أسطورة «شومبيتر» القائلة بأن فترة العصور الوسطى (التي كانت مظلمة في أوروبا) افتقرت عالميًّا إلى نظرية اقتصادية مكتملة، فيما دعاه شومبيتر بـ «الفجوة الاقتصادية الكبرى» فهذه السطور هي سعي لإرجاع الفضل إلى أهله، ببيان فضل علماء القرون الوسطى المسلمين على الفكر الاقتصادي عمومًا، ودورهم في اتصاله منذ بدأ حتى آل إلى ما آل إليه الآن.

نظرية «الفجوة الكبرى» لـ شومبيتر

ذكر «شومبيتر» في كتابه تاريخ التحليل الاقتصادي، الذي نشرته زوجته بعد وفاته في عام ١٩٥٤، أن هناك «قفزة»، تبلغ خمسمائة عام، من الفكر الاقتصادي اليوناني إلى

لقد آن أوان تفنيد أسطورة «شومبيتر» القائلة بأن فترة العصور الوسطى (التي كانت مظلمة في أوروبا) افتقرت عالميًا إلى نظرية اقتصادية مكتملة، فيما دعاه شومبيتر بـ «الفجوة الاقتصادية الكبرى» فهذه السطور هي سعي لإرجاع الفضل إلى أهله، ببيان فضل علماء القرون الوسطى المسلمين على الفكر الاقتصادي عمومًا، ودورهم في اتصاله منذ بدأ حتى آل إلى ما آل إليه الآن.

مدرسة «توما الأكويني»، لم يحدث خلالها أي تقدم في الفكر الاقتصادي. وكان خطأ «شومبيتر» الرئيسي أنه نسي مبدأ جوهريًا في التحقق من أي نظرية تاريخية، وهو دراسة الأحداث العالمية باعتبارها سلسلة، ودراسة هذه السلسلة تمكننا من معرفة ما إذا كانت الروابط في مكانها الصحيح أم لا، إذ لا يمكن للمرء أن يتعلم تاريخ أي حقبة ما لم يضع في اعتباره تسلسل الأحداث، خاصة الحقبة التي نحن بصدد دراستها الآن[١].

إن أول ما يتبادر إلى ذهننا هو ما إذا نتجت هذه «الفجوة الكبرى» عن ثغرة طفيفة أو عن فشل في نقل الفكر الاقتصادي من العلماء والكتاب العرب والمسلمين. من الصحيح أن جمع نصوص الإسلام المتعلقة بالنظرية الاقتصادية وعرضها على الجمهور الغربي لم يتم إلا في ستينات القرن العشرين، إلا أنه من المبالغة القول بأن «شومبيتر» لم يكن لديه علم بالنصوص العربية، بل وإنه يذكر بصراحة تأملات بعض العرب مثل ابن سينا وابن رشد في اللغات السامية، وكذلك فكر ابن ميمون اليهودي، ومن الواضح أن المدرسة الغربية قد استفادت من هؤلاء. ومن غير الصحيح أيضًا لتذرع بأن الكتابات العربية الإسلامية لم تنتقل إلى الغرب المسيحي. فقد كانت الحروب الصليبية وحروب الاسترداد الإسبانية اثنتان من وسائل النقل هذه، واللتان سرعتا الاتصالات بشكل كبير بين المراكز البيزنطية الثقافية والشرق من جهة، والأندلس من جهة أخرى[٢]. إلا أن وسيلة الانتقال الأكثر شهرة تمت عبر حركة الترجمة العربية العظيمة، التي بدأت في القرن العاشر الميلادي. كان «جيرارد الكريموني» من أبرز المترجمين، وفي سجله أكثر من سبعين ترجمة، بما فيها ترجمات لمؤلفات ابن سينا. بالإضافة إلى ذلك، تعلم العديد من الرحالة الثقافيين، مثل قسطنطين الأفريقي وأبيلارد الباثي، اللغة العربية وساهموا بشكل كبير في انتشار الفكر الإسلامي في الغرب.

النكران للجميل

ترى هل حفظت أوروبا صنيع العرب والمسلمين معها بعد عملية نقل المعرفة العظيمة تلك؟! وماذا كانت نتيجة تراث المترجم العظيم ذاك؟! لا شك أن الأمور في البداية جرت على نحو طبيعي، واعترفت الدوائر العلمية الأوروبية (المستقلة عن الكنيسة) بفضل العرب والمسلمين، لكن هناك أدلة على أن علماء غربيين صادروا هذه الأعمال لأغراض شخصية. نلاحظ على سبيل المثال أن «جيرارد الكريموني»، الذي توفي في عام ١١٨٧، تعمَّد تجاهل أعمال معاصريه، بمن فيهم ابن رشد، الذي توفي في عام ١١٩٨. وهناك إشارات إلى اعتياد الأوروبيين على هذا

فإن كثيراً من المفكرين المسلمين لم يسع علماء الغرب تجاهلهم وطمس إنجازاتهم أونسبتها إلى أنفسهم، غير أن هناك فئة من العلماء المسلمين كانت عرضة للسرقة، في وقت لم تكن طرائق توثيق الأعمال وبراءات الاختراع قد ظهرت بعد.. بذكر أسماء مفكرين مسلمين أسهموا في بناء الرقي الفكري الاقتصادي العالمي، ... مجرد التمثيل وتسليط الضوء على مبدأ أن الفكر الاقتصادي في الإسلام له مكانته في التاريخ وله أهميته التي لا يمكن التنكر لها.

الأمر، حيث نقرأ مثلا ما أوصى به ابن عبدون الإشبيلي في كتابه «رسالة في القضاء والحسبة»، بعدم بيع الكتب لليهود أو المسيحيين، إذ كانوا، وفقًا له، يترجمونها ثم يقدمونها على أنها أعمالهم الأصلية فيعزى فضلها إليهم!

وحجة المؤرخين الأخيرة هي أن الفكر الاقتصادي في الإسلام ليس علمًا مستقلاً (منفصلاً عن التاريخ والدين)، بل مجرد نسخة عن الفكر الاقتصادي اليوناني، خاصة عندما يتعلق الأمر بتحريم أرسطو للفائدة الربوية.

ويكفي لدحض هذه الحجة أن نعرف أن الهياكل الاقتصادية والعلاقات التجارية بين مختلف المجموعات هي عوامل تؤثر بقوة على النظرية الاقتصادية.

كانت العلاقات الاقتصادية للمجتمع اليوناني القديم مع بقية العالم علاقات محدودة للغاية، فالشرق كان جبهة صراع عسكري، والشمال كان قبائل همجية، فلم تكن ثمة علاقات اقتصادية يُعتد بها لدى المجتمع اليوناني سوى مع غرب أوروبا وجنوب البحر المتوسط، في حين أن هذا الواقع البائس لم يكن حال البلدان الإسلامية التي شهدت تدفقات تجارية ضخمة من الجهات الأربع. وحتى لو اقتصرت مساهمة الإسلام على ذكر الأفكار التي سبق أن طورها الإغريق، فهل كان للمدارس الفكرية الاقتصادية اللاحقة (المدرسية، التجارية الكلاسيكية، إلخ) أن تشهد النمو الذي عرفته دون التقدم الإسلامي؟!

وإن نقطة الخلاف الرئيسية هي أن هذه «الفجوة الكبرى» في الفكر الاقتصادي التي عبر عنها «شومبيتر» تقع على وجه التحديد في فترة ازدهار الفكر والحضارة الإسلامية. لقد اعتقدنا لفترة طويلة بأن التقدم والحداثة أتيا فقط من اليونان وروما وأوروبا المسيحية، إن هذه النظرة الدونية لأنفسنا إزاء المُنجز الأوروبي ما تزال منغرسة في اللاوعي الجماعي لدينا[٣].

اقتصاديون مسلمون ذائعو الصيت

لأن الشمس لا يمكن حجبها بغربال، فإن كثيراً من المفكرين المسلمين لم يسع علماء الغرب تجاهلهم وطمس إنجازاتهم أو

وإن نقطة الخلاف الرئيسية هي أن هذه «الفجوة الكبرى» في الفكر الاقتصادي التي عبر عنها «شومبيتر» تقع على وجه التحديد في فترة ازدهار الفكر والحضارة الإسلامية. لقد اعتقدنا لفترة طويلة بأن التقدم والحداثة أتيا فقط من اليونان وروما وأوروبا المسيحية، إن هذه النظرة الدونية لأنفسنا إزاء المُنجز الأوروبي ما تزال منغرسة في اللاوعي الجماعي لدينا.

نسبتها إلى أنفسهم، غير أن هناك فئة من العلماء المسلمين كانت عرضة للسرقة، في وقت لم تكن طرائق توثيق الأعمال وبراءات الاختراع قد ظهرت بعد، فمن هم هؤلاء المفكرون المسلمون الذين تم السطو على جهودهم؟! بذكر أسماء مفكرين مسلمين أسهموا في بناء الرقي الفكري الاقتصادي العالمي، لا نهدف إلى الحصر، وإنما مجرد التمثيل وتسليط الضوء على مبدأ أن الفكر الاقتصادي في الإسلام له مكانته في التاريخ وله أهميته التي لا يمكن التنكر لها.

من بين روّاد الفكر الاقتصادي المسلمين» أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم» (٧٣١-٧٩٨)، صاحب كتاب «الخراج»، الذي كان كثيراً ما يُستشار بشأن المسائل الإدارية والمالية العامة، لكونه قاضيًا ولعلمه بالقانون والدين والتاريخ. وفي معاهدة كتاب الخراج، التي كتبت بطلب من الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد، اشترط أبو يوسف استخدام ضريبة الخراج، المتعلقة بحاصلات الأرض الزراعية، بحذر لمصلحة دافع الضريبة والحاكم. فبالنسبة لأبي يوسف، لو أثقل النظام الضريبي كاهل دافعي الضرائب، فإن ذلك سيؤدي إلى التخلي عن الأراضي وانخفاض الإيرادات الضريبية. ولقد حذر من أن «الضريبة تقتل الضريبة»[٤]. في الواقع، كان ما يهمه هو العدالة الاقتصادية والاجتماعية لدافعي الضرائب، ولذا أكد على ضرورة فرض ضريبة بمعدلات تتناسب مع متوسط ثروة الفرد. ونجد مؤلفين آخرين تبنوا الأفكار ذاتها مثل أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي الذي ألف واحدًا من أوائل الكتب المخصصة لحل المشاكل الاقتصادية، وهو كتابه الشهير "الإشارة إلى محاسن التجارة".

ومن الضروري إبراز الفكر الاقتصادي للدمشقي، الذي لم يحظَ بشهرة كبيرة لدى عامة الناس. على الرغم من أنه أول مؤلف لكتاب متخصص تمامًا في المسائل الاقتصادية. كانت تحفته الفنية عبارة عن عمل صغير يحمل عنوان «الإشارة إلى محاسن التجارة». ومن بين المسائل الأخرى، كان الدمشقي مهتمًّا بقيمة البضاعة. ووفقًا له، فإن هذه القيمة تعتمد على ثلاثة عوامل رئيسية: تكلفتها، ومقدار العمل الذي بذل لأجلها، والطلب عليها. وإدراكا منه للتكاليف المترتبة على تصنيع سلعة أو بيعها، تحدث الدمشقي عن مراعاة تكاليف النقل والرسوم الجمركية المفروضة عليها. ولم يغب عنه تأثير الطلب على سعر السلعة أيضًا عندما نصح الناس بعدم شراء السلع التي ينخفض الطلب عليها. ويبدو أن العلاقة بين الطلب والعرض والسعر كانت واضحة في ذهن الدمشقي، خصوصًا عندما ذكر أن سعر البضاعة قد يرتفع بسبب تأخر التسليم أو زيادة الطلب أو انخفاض الكمية المعروضة نتيجة بعض الكوارث الطبيعية. ومن الواضح أن الدمشقي صاغ ما يسميه الاقتصاديون المعاصرون «نظرية الأسعار». ومع أن الدمشقي كان مسلمًا متدينًا، فقد تجنب مزالق النقاش الإسلامي التقليدي حول من يحدد السعر

الله أو الإنسان. وبامتناعه عن التفسيرات الدينية لتحديد الأسعار، اعترف الدمشقي أن بعض «القوى» ستضع أسعارًا على التاجر قبولها والتلاعب بها إذا أراد الازدهار.

ولنا الآن أن نتساءل: ماذا كان يحدث في أوروبا إذّاك؟! خلال هذه الفترة الفكرية المزدهرة في المجتمعات الإسلامية، كانت السلطة العامة المركزية في أوروبا غير فعالة وبالكاد يُعترف بها، حيث كان زمام الأمور الاقتصادية بيد البابا، ناهيك عن الأمور السياسية والعسكرية. فبينما كان الإسلام قد أقام «نهضة ثقافية» كبيرة، كانت أوروبا ما تزال غارقة في الظلام.

وفي القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، كان المسلمون يمرون بفترة تحول. فمن ناحية، كانت حكم الدولة العباسية آخذًا في التراجع والانهيار تدريجيًا؛ ومن ناحية أخرى، لم يكن لهذه التغييرات السياسية الكبرى أي تأثير واضح على النضوج الفكري للإسلام. وكان هذا هو حال العلوم الدينية والعلوم العقلانية، مثل الطب والفلسفة. فقد شكلت هذه الحقبة الذروة الفكرية للإسلام.

وبعد زمن قصير، قدم الفقيه ابن تيمية (١٢٦٣م-١٣٢٣م) تعريفًا جيدًا لما يجب أن يكون عليه النظام الاقتصادي، فتحدث عن الاقتصاد بوصفه نظامًا يمكن للأفراد من خلاله الاستفادة من نعم الله المادية، بطريقة لا تضر بالمجتمع. وإننا رأينا في عصرنا كيف تؤدي الحرية الكاملة إلى الظلم، ويتجسد ذلك إما من خلال التفاوت المهول في توزيع الدخل (كما في الرأسمالية) أو بالتدخل الجائر للدولة في الحياة الاقتصادية (كما هو حال الشيوعية).

ووضع حلًّا إسلاميًا وسطًا يتمثل في التوفيق بين الحرية الفردية والمصلحة العامة، وبالتالي التوفيق بين مصالح المنتج والمستهلك في المجال الاقتصادي. كما قال بأن الحلول التعاونية والتضامنية تفضل على الحرية الفردية عندما لا تحقق هذه الحرية مصالح العامة.

لقد كان ابن تيمية وآخرون غيره كالمقريزي (١٣٦٣-١٤٤٢) مهتمين كثيراً بتأثير التضخم (زيادة أسعار السلع والخدمات) على المجتمع بأسره، مما دفعهم إلى الكتابة عن النظرية النقدية.

ولقد قال كل من ابن تيمية والمقريزي بضرورة إقامة علاقة تناسبية بين المخزون النقدي وحجم التداول، لمنع التضخم وبالتالي تقليل إنفاق المستهلك العادي. واقترح أول تعبير لفكرة «النظرية الكمية للنقود» من خلال ربط الأسعار بتداول الأموال، مما يدفعنا إلى الجزم بسبقه للاقتصادي المعروف «جان بودين»[٥]. إن قدراً لا بأس به مما كتبه ابن تيمية بشأن هذا الموضوع أصبح الآن بديهيات اقتصادية،

فإن جميع الاقتصاديين يتفقون على أن التضخم له تأثير متحيّز على توزيع الدخل. وسوف يستمر الظلم الاقتصادي الناجم عن التضخم بسبب الخلل في مؤشرات الأجور، ولأن القيود النقدية وتكاليف المعاملات المرتفعة تمنع الوكلاء ذوي الدخل المنخفض من تحويل مدخراتهم إلى السندات المرتبطة بالتضخم. وبعبارة أخرى، إن رفع قيمة السندات وخفض القيمة النقدية، يزيد الأغنياء الذين يملكون سندات ثراء، في حين أن الفقراء، الذين يعيشون على دخلهم النقدي، تزداد ديونهم بسبب معدلات الفائدة التي عليهم دفعها بعملة تفقد قيمتها بشكل متزايد.

إن التقدم الذي عرفته الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى في مجال الاقتصاد يفند القول بنظرية «الفجوة الكبرى» في الفكر الاقتصادي، التي توصِّل الحضارة اليونانية مباشرة بأوروبا الغربية المسيحية، كما وصفها «شومبيتر». إن قول شومبيتر هذا هو انتهاك صارخ للعلم ومبادئه التي من أهمها «السببية» التي يمكن تلخيصها في ارتباط كل نتيجة بسبب سابق أو مجموعة أسباب.

ابن خلدون ومقدمته

وإذا كنا نتحدث عن الاقتصاد، فلا يجدر بنا إنهاء الموضوع دون ذكر عالم الاجتماع العظيم ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦)، الذي تكمن قوة تحليلاته في كونها متعددة التخصصات، فهو يربط بين جميع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهامة، بما في ذلك السلطة السيادية أو السياسية، والمعتقدات والقواعد السلوكية (الشريعة)، والناس، والثروة، والتنمية والعدالة، بطريقة دائرية ومترابطة، ويؤثر كل منها بالعناصر الأخرى ويتأثر بدوره بها.

وفي ظل هذه الظروف، أظهر ابن خلدون عبقرية منقطعة النظير في استغلال الظرف المأساوي لإنتاج أعظم إنجاز في مجال علم الاجتماع، فوضع نموذجًا يمكن أن يساعد في تفسير نهوض الحضارات وسقوطها، ونمو الاقتصاد وتدهوره، وكلاهما ظاهرتان مترابطتان في نموذجه. حاول ابن خلدون أن يعالج كل هذه الأسئلة في كتابه «المقدمة» حيث شرح الأحداث التاريخية المختلفة من خلال العلاقة بين الأسباب والنتائج، وأن يستنبط علميًّا المبادئ التي تكمن وراء صعود وسقوط سلالة حاكمة أو دولة أو حضارة. يقول محمد تشابرا: «إن «المقدمة» غنية جدًّا بتحليله المبدع والعميق. وكل نموذجه مركز إلى حد كبير، وإن لم يكن كاملاً، في ثمان عبارات سياسية حكمية، ارتبط بعضها ببعض، وارتدت أعجازها إلى صدورها، واتصلت في دائرة مغلقة»[٦].

إن التقدم الذي عرفته الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى في مجال الاقتصاد يفند القول بنظرية «الفجوة الكبرى» في الفكر الاقتصادي، التي توصِّل الحضارة اليونانية مباشرة بأوروبا الغربية المسيحية، كما وصفها «شومبيتر». إن قول شومبيتر هذا هو انتهاك صارخ للعلم ومبادئه التي من أهمها «السببية» التي يمكن تلخيصها في ارتباط كل نتيجة بسبب سابق أو مجموعة أسباب.

الهوامش:

١. مرزا بشير الدين محمود أحمد، بداية الخلافات في الإسلام (لندن، منشورات الشركة الإسلامية المحدودة).٢. ٢. فيريي، مقدمة في الفكر الاقتصادي في الإسلام من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر (باريس: لارمتان، ٢٠٠٩).

٣. أكالاي، فراغ جوزيف شومبيتر الكبير (لمحة عن الفكر الاقتصادي في الإسلام) (الدار البيضاء: ولّادة، ١٩٩١).

٤.فيريي، مقدمة في الفكر الاقتصادي في الإسلام من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر (باريس: لارمتان، ٢٠٠٩)

٥. ع. ع. إصلاحي، المفاهيم الاقتصادية لابن تيمية (ليستر: المؤسسة الإسلامية، ١٩٨٨)

٦.م. ع. تشابرا، ‹نظرية الفكر التنموي لابن خلدون: هل تساعد في شرح الأداء المتدني للعالم الإسلامي الحالي؟› مجلة الاقتصاد الاجتماعي ٣٧، العدد ٢ (٢٠٠٨): ٨٣٩.

التناغم الأسري

الدكتور:
فهيم يونس القرشي
الولايات المتحدة الأمريكية

في مكان ما قبل ستة آلاف عام، صدر المرسوم الإلهي بالإنعام على الأسرة الأولى، والمتمثلة في أول جماعة للمؤمنين، وما من شك في أننا جميعًا نذكر ذلك الإنعام الإلهي الواضح في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، ببالغ الأسف، ويبدو أن ذلك الإنعام لم يدم طويلًا، وسبحان من له الدوام! فنظرًا إلى تقصيرات من نوع ما خسر سلفنا الأول الجنة، إذ أُخرِج منها لتبدأ حقبة جديدة من تاريخ الإنسانية، وترحل أجيال وتولد أجيال، وتتوالى على الأرض ظلمات تلو ظلمات، حتى بدا في الأفق نور البعثة المحمدية لتستضيء الدنيا بضياء شمس الإسلام. وطوال مراحل التطور تلك كان كل رجل آدم، وكل امرأة حواء، لذا فسيكون الحديث في السطور التالية كرسالة موجهة إلى كل آدم وحواء. ولا يغيبن عن بالنا أنه كما تطور آدم وحواء خلال تلك المدة المديدة، فكذلك الأمر بالنسبة للشجرة المحرمة، إنها تطورت كذلك، وما كان ذكرها ليأتي في القرآن إلا تحذيرًا لنا منها نحن المتأخرين، كما سبق أن حُذِّر منها المتقدمون. لطالما تساءلت في طفولتي، بل أكاد أجزم بأننا تساءلنا جميعًا بلا استثناء، ماذا لو لم تمتد يد آدم عليه السلام إلى تلك الشجرة؟! إذن ما كنا أُخرجنا من الجنة ولما قضينا حياتنا تلك في البؤس والشقاء والألم. وبالنظر إلى حال السلام العالمي المتأرجح والذي لا يستقر، لا شك أن المشهد يقض مضاجع العقلاء على هذا الكوكب، ألا يدعونا غياب السلام هذا إلى اليقين بغيابه على المستوى الأسري؟! جميع الساسة المتنازعون يدعون أنهم صانعو السلام في العالم، وهذا صحيح، فالكل يحاول، لكن لنتخيل التناقض لو أننا كنا غير قادرين على خلق هذا السلام في بيوتنا، فبأي حق ندعي أننا نصنعه على المستوى العالمي؟!

التناغم الأسري موضوع يعنينا جميعًا بلا استثناء، فما من إنسان إلا وهو فرد في أسرة، فحين نشرع في تناول هذا الموضوع علينا أن ندرك أننا ركيزة أساسية فإن تطلب الأمر جرع دواء مُر من أجل السلام في بيوتنا، أظن أننا سنفعل. إن هدف الشيطان واضح، ولكن طرقه متعددة، وهدفه ببساطة معلن في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[2]، وأول السبل التي ينتهجها الشيطان الرجيم وصولا إلى هدفه الدنيء هو فك عرى الوئام الأسري، فالاجتماعي، ومن ثم العالمي، إذن كيف لنا أن نعين الشيطان على أنفسنا ونلقي بأيدينا إلى التهلكة؟! لنر كيف أننا نفعل هذا دون أن ندري، ولننطلق من حديث رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذ قَالَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا

وبالنظر إلى حال السلام العالمي المتأرجح والذي لا يستقر، لا شك أن المشهد يقض مضاجع العقلاء على هذا الكوكب، ألا يدعونا غياب السلام هذا إلى اليقين بغيابه على المستوى الأسري؟! جميع الساسة المتنازعون يدعون أنهم صانعو السلام في العالم، وهذا صحيح، فالكل يحاول، لكن لنتخيل التناقض لو أننا كنا غير قادرين على خلق هذا السلام في بيوتنا، فبأي حق ندعي أننا نصنعه على المستوى العالمي؟!

وَكَذَا فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ»[٣]) ثمة رجل يقرأ قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[٤]، وعوضًا عن أن يُفهم أنه الوصي المسؤول والمكلف بحمل الأمانة، يأتيه الشيطان فيشوش عليه الفهم موحيًا إليه أن بإمكانه أن يكون طاغية؛ يفعل ما يشاء كيفما يشاء وقتما يشاء، وأن القوامة المذكورة ليست مسؤولية أو عبئًا عليه، وإنما هي قوة ومزية وشرف وتفضيل. إن هذا الرجل أيضًا بمثابة آدم عصري كما أسلفنا، فيعود آدم هذا إلى المنزل غير آبه بأي شيء، فيرمي بجواربه حيثما شاء، ويكلم أهله بسوء الكلام وبذاءة اللسان، بل وقد يطيل الأيدي في كثير من الأحيان، وينسيه الشيطان قول النبي: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٥] كان الإمام أبو حنيفة يسير ذات يوم في الشارع بعد هطول الأمطار مباشرة، فرأى طفلاً صغيراً يقفز على صخور صغيرة في الشوارع الموحلة فقال له انتبه، سوف تتعثر فتقع. التفت الصبي وقال للإمام لا تقلق علي أنا فتى صغير لكنك إمامنا فانتبه لأنك إن سقطت فسوف يسقط كل من يتبعك. وهذه هي مسؤوليتكم يا إخوان في المنزل. عندما نسيء، نحن أوادم العصر، استخدام هذا الامتياز، فإننا بهذا نهيئ الفرصة للشيطان ليوسوس إلى حواء العصرية قائلا لها: ليس عليك أن ترضي بذلك. لماذا تطيعينه أو تستمعين له، لا تسكتي له، لست مضطرة إلى ذلك أصلًا، والقانون في صفك. تلك هي الشجرة المحرمة التي أهدف إلى كشف كنهها، وكفرد من بيت آدم وحواء الأولين، آمل لو أن آدم ما قربها. لقد أسأنا جميعًا، رجالًا ونساء، إذ صدقنا الكذاب الكذوب، صدقه الرجل فتوهم أن من صلاحياته أن يطغى ويتجبر، ناسيًا قول ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾[٦]، كما صدقته المرأة حواء، ناسية قول الله تعالى في نفس الآية: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ﴾[٧] وكذلك نسي كلاهما أن كليهما راعٍ ومسؤول عن رعيته كما نص على ذلك التوجيه النبوي: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»[٨] بمجرد أن تصدر من الرجل الإساءة لفظيًا، فإن العقد ينفرط وتتوالى الإساءات، وقد يتبع ذلك الإساءة المادية المتمثلة في الإيذاء الجسدي، وما يمارسه بعض الرجال دون خجل بكل أسف. لقد بات من المزعج حقًّا مستوى النقاش الذي وصل إليه الموضوع، بحيث إننا في القرن الحادي والعشرين ما زلنا نتجادل فيما إذا كان القرآن الكريم يسمح للرجل بضرب زوجته أم لا! يحضرني حديث نبوي قد يرى البعض أن مضمونه بعيد عن الموضوع، ولكني أراه وثيق الصلة، قال رسول الله ﷺ: «من لَطَمَ غُلَامَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ عِتْقُهُ»[٩]، فإذا كان هذا بالنسبة للرقيق في زمن خلا، فما بالنا برفيقنا في هذا السفر؟! أولسنا نتفق على كون هذه الحياة الدنيا سفرًا طويلًا شاقًّا؟! فمن ذا الذي يقدم على إيذاء رفيق سفره؟! عجبًا! ألا يعلم هذا أنه إنما يؤذي نفسه بيديه؟!

إننا في القرن الحادي والعشرين ما زلنا نتجادل فيما إذا كان القرآن الكريم يسمح للرجل بضرب زوجته أم لا! يحضرني حديث نبوي قد يرى البعض أن مضمونه بعيد عن الموضوع، ولكني أراه وثيق الصلة، قال رسول الله ﷺ: «من لَطَمَ غُلَامَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ عِتْقُهُ»[٩]، فإذا كان هذا بالنسبة للرقيق في زمن خلا، فما بالنا برفيقنا في هذا السفر؟!

شتان بين أفعالنا وأسوتنا

إننا جميعًا نقول بألسنتنا أننا نتخذ من سيدنا محمد المصطفى ﷺ أسوة حسنة، حسنًا، فلنر ماذا كان أسوتنا الحسنة ﷺ يفعل، ثم لننظر، هل نحن به مقتدون؟! فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «أَرْدَفَنِي رَسُولُ الله ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ. وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[١٠] إنه ﷺ قد ساءه أن يؤذي دابته، فماذا لو يطلع سيدنا خاتم النبيين علي حالنا هذا العصر ويرى أن منا من يؤذي زوجته؟! ألن يسوءه هذا؟!

الكرة في ساحة حواء

الآن ماذا بعد أن ارتكب آدم العصري في حق حوائه إساءتين؟! هل انتهى الأمر عند هذا الحد؟! بالطبع لا، فقد ألقى الشيطان الكرة في ساحة حواء العصرية، ووسوس إليها أن ترد الإساءة أضعافًا مضاعفة، ولكن بطريقة تناسب قدراتها الجسدية طبعًا، فهي لن تقوى على رد الإيذاء الجسدي بإيذاء جسدي، فكان أن بدأت حواء هذه تخفي أسرارها عن آدمها؛ ولا تشاركه في شيء؛ وألا تفعل كل ما يرضيه؛ ولا مانع من أن ترد على عائلة زوجها لأنها غير ملزمة بمعاملتهم معاملة حسنة. وهنا تخرج المشكلات من دائرة بيت الزوجية لتتخذ مساحة أوسع، فيسمع القاصي والداني، وهنا تكمن الخطورة، إذ تنتفي قيمة الستر من العلاقة الزوجية التي قال عنها الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[١١]، من المؤسف أننا مزقنا ذلك اللباس بسبب فتنة الشيطان. فأي نصيحة من أي شخص كان، قريبًا أو بعيدًا، وسواء كانت من الوالدين، أو من الأصدقاء، أو من الإخوة أو الأخوات، تشجع الزوجين على قطع هذه العلاقة، إنما هي نصيحة شيطانية، لأنها ستخرج الزوجين من جنتهما الجميلة. لذلك فالمعهود أنه عندما يتخطى نقاش الزوجين عتبة البيت عندها تبدأ المشاكل. فتنتهي العلاقة بالطلاق أو في صمت طويل حيث ينتظر كل منهما الوقت المناسب. طالما ينسى آدم عبارة قال فيها المسيح الموعود عليه السلام: «ما عدا الفحشاء ينبغي أن تتحّملوا من النساء كل نوع من سوء الخُلق والإساءة». [١٢]

المرأة العاملة.. ردة فعل

ولنعد إلى ما كنا بصدده من ذكر تفاصيل الوقيعة بين آدم وحواء بفعل فتنة الشيطان ووسوسته.. إن سلسلة الإيذاءات الصادرة من الرجل، وكذلك ردود الأفعال السلبية الصادرة من المرأة، لا شك أن هذه السلسلة المقيتة امتدت على مدى بضعة قرون بل آلاف السنين، وطوال هذه المدة المديدة ظل الشيطان يلقي في عقل المرأة أن طُغيان زوجها وتجبره إنما هو بسبب المال، فلو امتلكت هي المال لكان حالها غير الحال.. فلا يكون من المرأة

إلا أن تفرط أول ما تفرط في وظيفتها الأولى والأسمى، المنزل، لتخرج باحثة عن عمل يبرز لها كينونتها مقابل كينونة الرجل، علمًا أن عمل ربة المنزل يعادل بحد ذاته عشر وظائف. ولكن بما أن حواء متعطشة لنيل الاعتراف والاحترام الذي تستحقه منذ اليوم الأول، أضافت عملاً آخر على كل ما تفعله أصلاً، ليتبلور ذلك في ظاهرة المرأة العاملة، التي لا شك في أن العالم المعاصر بات يعترف بتداعياتها السلبية على الأسرة ككل، والنشء خاصة. وأود أن أنوه إلى أن بعض النساء يلجأن للعمل خارج البيت بسبب ضغوطات مختلفة.

قد لا نتمكن تمامًا من فهم كيف وصلنا إلى ما نحن عليه الآن، ولكن بات من الملاحظ بالتأكيد أن وضع الجنة على هذه الأرض قد انتهى للأسف إلى حرب شعواء بين الجنسين من أجل السلطة. فلا أحد يعجبه الآن اتباع القواعد ولا الأدوار المذكورة في القرآن، في عالم مليء بمقدمي البرامج الحوارية مثل «أوبرا» و «دكتور فيل»، ومعترك العمل في أسواق الأوراق المالية وشركاتنا الخاصة. الآن أرى أطفالنا يرددون التساؤل ذاته الذي كنت أردده في صغري: ماذا لو لم تمتد يد آدم عليه السلام إلى تلك الشجرة؟! إذن ما كنا أُخرجنا من الجنة ولما قضينا حياتنا تلك في البؤس والشقاء والألم. والحق أنني إلى الآن ما زلت كآدم أتساءل: كيف وصلنا إلى هذا الوضع؟! غير أن هذه المرة أضحى الجواب واضحا: لأننا فقدنا الوئام المنزلي عندما رفعنا يدنا على امرأة بريئة في ثورة غضب؛ فقدنا الوئام عندما شعرنا أن مسؤولية ربة المنزل ليست وظيفة بدوام كامل تستحق الاحترام؛ فقدنا الوئام في اليوم الذي تعلقنا فيه بهواتفنا المحمولة على حساب الشخص الذي يجلس بجوارنا؛ فقدنا الوئام لما أصبحنا أكبر وأهم من أن نعتذر.

فرصة التصحيح لا زالت سانحة

ربنا يخطر في بالنا تساؤل آخر مفاده: أين هو النموذج المثالي في عصرنا؟! أين أبو حنيفة العصر، والمرأة مستقلة مالياً اليوم؟! كيف يمكننا تكرار هذا النموذج الآن؟! دعونا نعود إلى الأسوة الأحسن والنموذج الأفضل للقوامة بامتياز، ألا وهو الرسول ﷺ، بمن تزوج أول مرة؟! من حضرة خديجة أم المؤمنين التي كانت على ما يبدو أول سيدة أعمال في الإسلام. كانت امرأة ثرية، عاملة ومعيلة. بدلاً من الخوض في مزيد من التفاصيل، يكفينا فقط ذكر شهادة هذين الزوجين النموذجيين في بعضهما البعض؛ ووصف كليهما لشريكه. حين تلقى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الوحي الأول رَجَعَ بِهَا يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ قولتها المشهورة: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» (١٣) هذه كانت شهادة حضرة خديجة رضي الله عنها وهذا هو معنى «القوامة»، وبعد ٢٥ عامًا من تلك الجنة تخبرنا عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ فَغِرْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا. قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ» (١٤) هذا هو دورها، شغلت موقعًا قويًا؛ فلو أرادت أن تسيطر، فما من فرصة أفضل من تلك. لم تتزوج من نبي صُنعت من أجله السموات والأرض، بل تزوجت من يتيم في الـ ٢٥ من عمره.

المراجع

1. (البقرة: ٣٦) ٢.(المائدة: ٩٢) ٣.(صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار).
٤.(النساء: ٣٥) ٥. (سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه) ٦.(النساء: ٣٥)
٧.(النساء: ٣٥) ٨. (صحيح البخاري، كتاب الجمعة) ٩. (مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة) ١٠. (سنن أبي داوود، كتاب الجهاد) ١١. (الملفوظات ج ٢ ص ١)
١٢.(البقرة: ١٨٨) ٣١.. (صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي).
١٤. (مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار)

"ربّ كُل شيءٍ خَادِمُكَ"(١)

كُرةُ القَدَمِ في خدمة الدين

مِنَ الخَلْق من يُثاب على الأكلة يأكلها، ومنهم من يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وقد يكون الطعام هو نفسه في الحالين، الفرق يكمن في نية الآكل حين الأكل، هل أكل بغية العيش وحسب؟! أم تراه أكل ليستقوي على إخوانه؟! أم تراه أكل ليتقوى على بذل نفسه أكثر في سبيل ربه؟! المأكل واحد والأهداف شتى، ولذا فقد أُمرنا وفق منطوق الذكر الحكيم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢)، أي أن جميع ممارساتنا الحياتية هي لهدف وحيد، الله رب العالمين، وأدناه تجربة خضتها وتحقق لي من خلالها أداء واجب خدمة الدين بشكل غير مألوف..

أعرفكم بنفسي، اسمي مستنصر قمر، داعية إسلامي أحمدي، تخرجت في الجامعة الأحمدية بلندن عام ٢٠١٤، ثم ابتعثتني الجماعة بتوجيه حضرة أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز) داعية في نيوزيلندا، وهناك دارت أحداث المغامرة الروحانية التي أُفرد لأجلها هذا المقال.

نيوزيلندا
الداعية مستنصر قمر

نصيحة ثمينة

إن أحداث هذه المغامرة إن كانت تدور في الجنوب الشرقي من خارطة العالم، في قارة أستراليا، وتحديدًا في إحدى جزر نيوزيلندا، إلا أن بدايتها كانت في أقصى الشمال الغربي من قارة أوروبا، من مدينة لندن، حيث مكتب حضرة أمير المؤمنين، والذي أعتبره قلب العالم، بغض النظر عن الموقع الجغرافي، فحتى قلبي العضوي متموضع في الجهة اليسرى من صدري! عندما تشرفت ضمن مجموعة زملاء صفي عام ٢٠١٤ بملاقاة حضرة أمير المؤمنين نصره الله أذكر من بين النصائح الثمينة التي أسداها إلينا حضرته أن علينا اجتذاب شباب الجماعة مؤكدًا على ضرورة أن نشاركهم ما يحبون، كأن نمارس معهم ما يهوون ممارسته من رياضات بدنية. فإذا كانوا

فقد بلغ الأمر بقائد الفريق أن عرض عليَّ قائمة بالأسماء الجديدة المحتملة للفريق، وسألني عما إذا كانت جميعها على ما يرام قبل تصويت بقية الفريق لاختيار اسم جديد. من المدهش كيف أصبحت هذه الحادثة وسيلة لتقديمي إلى الفريق بأكمله، وكيف رغب الفريق بأكمله في تغيير اسم فريقهم مراعاة لعقيدتي الدينية!

يلعبون الكريكت نشترك معهم في لعبة الكريكت، وإذا كانوا يلعبون كرة القدم نلعب معهم كرة القدم. فأياً كان ما يلعبونه، يجب أن نشاركهم. والغرض هو أن يكونوا برفقتنا، وبهذه الرفقة نكون لهم نماذج مثالية، فنريهم أننا بلعبنا وممارستنا للرياضة معهم نقوم أيضًا بمسؤولياتنا تجاه الله وخلقه، متحلين بالمثل الأخلاقية العالية التي يعلمنا إياها الإسلام.

لقد ظلت نصيحة حضرة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره العزيز منقوشة في ذهني، ولا تنتظر سوى الفرصة المواتية للتطبيق العملي، وبما أنني كنت منذ الطفولة حريصًا على ممارسة الرياضة، اتبعت هذا النهج بعد وصولي لأول مرة إلى نيوزيلندا من خلال مرافقتي لشباب جماعتنا. فكنت ألعب كرة الطاولة والكريكت وكرة السلة والكرة الطائرة وكرة القدم مع الخدام[٣] والأطفال[٤]. مع مراعاة روح المنافسة الشريفة، كنت ألعب بأفضل ما لدي من قدرات وهبني إياها الله في كل من هذه الرياضات حتى يتمكن الشباب أيضًا من رفع روح المنافسة الشريفة لديهم. وكنت أحرص على أن نؤدي الصلاة في وقتها بغض النظر عما إذا كنا نلعب في القاعات التابعة للمسجد أو في ملعب رياضي، حتى لو كان هذا يعني أن نؤديها في حديقة عامة. وبالمثل، كنت ونحن نمارس الرياضة أبقي روح المنافسة الصحية حية متحليًّا كذلك بروح رياضية وأخلاق حميدة حتى أكون قدوة للآخرين. وإذا ارتكبت خطأً بحق شخص ما أو لاحظت شيئًا ما أثناء اللعب، كنت ألتزم دائمًا بأعلى درجات الصدق وألفت أنظارهم فوراً إلى ضرورة الصدق بغض النظر عن تأثير ذلك على نتيجة اللعبة.

الصلاة في أماكن عامة، المشروع والممنوع

أتذكر أننا بعدما فرغنا مرة من لعب كرة القدم مع الخدام في حديقة ما، حان وقت الصلاة، فرأينا أن نصلي في جانب من الحديقة لأنه لم يكن لدينا الوقت الكافي للوصول إلى المسجد ولقلة المواصلات أيضًا. لكنني شعرت أن بعض الخدام كانوا غير مرتاحين للفكرة، حتى أن بعضهم اعتذروا وغادروا. ومع ذلك، بقيت الأغلبية وأقمنا صلاتنا هناك جماعة. ومع الوقت ازدادت ثقة الخدام تدريجيًّا وحتى أولئك الذين كانوا يغادرون في البداية أخذوا يصلون معنا بانتظام. وقويت ثقة الخدام بهويتهم لدرجة أنني أتذكر أننا اقتربنا ذات مرة من بعض الشبان الذين كانوا يراقبوننا من مسافة بعيدة في الحديقة، وسألناهم عن شعورهم برؤيتنا نصلي هكذا. وللمفاجأة كان رد فعلهم مشجعًا فزاد ذلك من ثقة الخدام.

أود هنا الإشارة إلى السلوك الذي يمارسه بعض المسلمين غير الأحمديين، إذ يؤدون الصلاة في أماكن عامة بشكل يعطل مرور الناس وحركتهم، فهذا سلوك تأباه جماعة المؤمنين

الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي تضع في الحسبان في كل تصرف حق العباد مباشرة بعد حق الله تعالى.

الابتعاث إلى ويلنجتن

انتقلت منذ سنوات من مركزنا الوطني إلى منطقة عاصمة نيوزيلندا "ويلنجتن"، حيث الجماعة هنا قليلة العدد، والشباب كذلك نسبتهم إلى ذلك العدد القليل فهم أقل. وبسبب الهجرة أخذ العدد في التناقص. ولكني واصلت قدر الإمكان إشراك الشباب ومرافقتهم بنفس الطريقة. إلا أن عقد المباريات الرياضية الجماعية أصبح أمرًا متعذرًا، فلم يبق إلا شابين أو ثلاثة فقط.

وبينما استمرت أنشطة التبليغ، من حملات المنشورات إلى اللقاءات العامة تحت شعار «التقِ بمسلم»، ومَعارض القرآن، والمحادثات العامة في الأندية والمدارس وغيرها، شعرت في العديد من هذه الحملات أن التواصل الشخصي أصبح صعبًا في مجتمع ينجرف أكثر فأكثر بعيدًا عن الدين. وحتى يومنا هذا، ما زلت أدعو أولئك الذين لديهم اهتمام بالدين وأولئك الذين تمكنا من تطوير علاقة شخصية معهم إلى منزلي. لكن هؤلاء من حيث العدد كانوا بالطبع قلة لا تكاد تُذكر. وهنا كان التحدي، فإن لم يأت سعداء الحظ إلينا، فلم لا نخرج نحن بحثًا عنهم؟! لذلك، مع أخذ توجيهات حضرة أمير المؤمنين في الاعتبار، ومن أجل لياقتنا البدنية، قررت أن أعثر على أشخاص ألعب معهم كرة القدم فيكون ذلك وسيلة لتطوير علاقة شخصية مع الآخرين وبابًا آخر لتبليغ أناس قد لا تصل إليهم الحملات التبليغية الأخرى.

كرة القدم في سبيل الله!

شخصيًا لم أكن أعرف الكثير ممن يلعبون كرة القدم هنا، لذا شرعت في البحث عن أشخاص من خلال مجموعات وسائل التواصل الاجتماعي وانضممت بانتظام إلى مباريات غير رسمية. أصبحت هذه وسيلة جيدة للتعرف على أشخاص جدد والتواصل معهم لاحقًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي أيضًا. في بعض الأحيان، عندما يتحدثون إلى اللاعبين قبل المباراة أو بعدها يسألونهم «مم تكسب رزقك؟» هذا السؤال كان يفسح المجال على الفور للتكلم عن الدين والإسلام. وأصبح هذا طريقة غير مألوفة وجيدة للتبليغ من خلال تطوير العلاقات الشخصية. بعد عام أو نحو ذلك من اللعب غير الرسمي، طلب مني بعض اللاعبين الذين أُعجبوا جدًّا بلعبي أن ألعب في فريقهم في بطولات الدوري المختلفة. ألعب عادة في خط الوسط أو كمهاجم، وبحمد الله قيض الله تعالى الفوز لبعض الفرق بسببي، حيث سجلتُ أغلب أهداف فريقنا، وكُتِب لنا الفوز ببطولات الدوري.

ثم فوز من نوع آخر

لم يكن إحراز الفوز الرياضي هو غايتي من كل ما سبق، بل كان مجرد وسيلة نبيلة يمكن بها بلوغ غاية أنبل. وأذكر أنه قد حدث مرة أن طلب مني فريق ما أن أكون ضمن لاعبيه. فقبلت وشاركت في أول مباراة لهم للموسم ولا أعرف أحداً منهم. وكان لي أثر إيجابي في الفريق فأرسل لي الكابتن بعد المباراة رسالة عبر وسائل التواصل الاجتماعي يطلب مني الانضمام إلى فريقهم للموسم بأكمله. وعندما اطلعت على التفاصيل واكتشفت أن اسم وشعار فريقهم يحتوي على عبارات فاحشة، رفضت بأدب. أحسّ إثرها قائد الفريق أن سبب رفضي ربما يكون اسم الفريق وبعد أن استفسر مني، أخبرته أنني إمام مسلم ومرشد ديني، وأنه لا يليق أن أنضم إلى فريق يحمل هذا الشعار. أضفت أن ليس هناك من مشكلة ويمكنهم الاستمرار بدوني كما كانوا من قبل. إلا أنه عاد إليَّ بعد فترة وجيزة قائلاً إنه تحدث إلى أعضاء الفريق وأن الجميع على استعداد لتغيير اسم الفريق حتى أتمكن من الانضمام إليهم. وبعد أن أصر، وافقت.

ولم تتوقف باقة الفوز الروحاني عند هذا الحد، فقد بلغ الأمر بقائد الفريق أن عرض عليَّ قائمة بالأسماء الجديدة المحتملة للفريق، وسألني عما إذا كانت جميعها على ما يرام قبل تصويت بقية الفريق لاختيار اسم جديد. من المدهش كيف أصبحت هذه الحادثة وسيلة لتقديمي إلى الفريق بأكمله، وكيف رغب الفريق بأكمله في تغيير اسم فريقهم مراعاة لعقيدتي الدينية!

صدقًا، إن الصدق منجاة!

الرياضة مسرح رحب لإبداء القيم والأخلاق. ومن المشاهد المألوفة في المباريات الرياضية هذه الأيام، لا سيما الجماعية منها، مشاهد الشجار الذي غالبًا ما يبدأ تراشقًا بالألفاظ، وينتهي إلى تراشق بالحجارة، إن لم يكن بشيء آخر. ويحدث أحيانًا أن يخطئ الحكام في بعض الأحيان فيما يتخذون من قرارات. وحصل أن احتدم الوضع بين لاعبي الفريق الذي كنت ألعب معه والفريق الآخر. وحاولت في كل مرة فض الاحتدام وطلبت من الجميع أن يهدؤوا حتى أنني كنت أسحب لاعبي فريقي إلى الوراء وأعتذر إذا ما اقتضت الضرورة ذلك.

وبالمثل، أتذكر مرة في مباراة فاصلة أثناء ركلات الجزاء، وضع أحد لاعبي الفريق المنافس الذي كان سيسدد ركلة الجزاء الكرة مترا أو مترين خلف منطقة التسديد. والحكم لم يلاحظ ذلك، لذا صرخت لإبلاغهم أنه يمكنه تقديم الكرة إلى الأمام. ورأى بعض زملائي في الفريق أنني كنت صادقًا زيادة عن اللزوم. مع ذلك لم

يصب اللاعب المرمى وفزنا بالمباراة. وشعر بعض ممن أخبروني أنه ما كان يجب أن أكون صادقًا لهذا الحد أن صدقي هذا هو الذي أدى باللاعب أن يخطئ الهدف وإلى أن نفوز.

وهكذا تسنت لي الفرصة طوال الفترة التي لعبت فيها ضمن فرق مختلفة في البطولات الدورية أو في المباريات غير الرسمية لبناء علاقات دائمة مع الأشخاص الذين لم يكن لديهم أي اهتمام بالدين أو العقيدة، بل وتمكنت أيضًا من إبداء درجة عالية من الصدق والنزاهة والأخلاق التي يعلمنا الإسلام أن نسعى لانتهاجها من خلال الرياضة. لقد أجريت العديد من المحادثات حول الإسلام من خلال كرة القدم. حتى أن بعض اللاعبين الذين يعرفون أنني مسلم يحيونني بـ «السلام عليكم».

علاوة على ذلك، عندما أنشر بعضًا من أنشطتنا الأخرى في التبليغ على وسائل التواصل الاجتماعي، يستفسر بعض معارفي الجدد. ذات مرة، عندما دُعيت إلى إحدى الجامعات لحضور حلقة نقاش، نشرت التفاصيل على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بي. فعلق أحد اللاعبين الذين ألعب كرة القدم معهم وأثنى على حديثي وإجاباتي على الأسئلة.

في الغرب، حيث يبتعد الناس عن الإيمان والدين، أشعر أنه من الأفضل أحيانًا إيجاد اهتمامات مشتركة أخرى مع الناس لكسر الحواجز وتطوير علاقات دائمة. هذا يؤدي بهم حتمًا في مرحلة ما إلى طرح الأسئلة، فعلى سبيل المثال اتصل بي أحد اللاعبين عبر الفيسبوك وقال إنني أعلم أنك تجهد كثيراً لإزالة المفاهيم الخاطئة عن الإسلام (لقد عرف ذلك من خلال متابعته لي على وسائل التواصل الاجتماعي) وأخبرني أن كبار السن في عائلته كانوا يتحدثون بشكل سلبي عن الإسلام على سفرة عشاء الليلة الماضية. حاول أن يدافع عن الإسلام لكنه لم يعرف كيف يجيب على وجهات نظرهم ولذلك اتصل بي.

هذه بعض الأمثلة العديدة التي توضح كيف يفتح الله أبواب التبليغ ومزيدًا من الحوار حتى من خلال وسائل ليست تقليدية في التبليغ. إن هذه الوسائل ووسائل أخرى تحت إشراف الخلافة ستبارك في جهودنا على الدوام..

وفي نهاية هذا المقال الموجز، أقول أن المغامرة طويلة وشائقة، وكل تفاصيلها تدور حول مبدأ واحد، وهو أن جميع ممارساتنا الحياتية اليومية يمكن تطويعها لتكون في خدمة هدفنا الأسمى، الله عز وجل، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥)

المراجع

١. دعاء للمسيح الموعود عليه السلام: "ربِّ كل شيء خادمك، ربِّ فاحفَظني وانصرني وارحمني."

٢. (الأَنعام: ١٦٣)

٣. الخدام: تنظيم للجماعة للذكور البالغين من العمر ٥١ إلى ٣٩

٤. الأطفال: تنظيم في ا لجماعة للذكور البالغين من العمر: ٧ إلى ١٥

٥. (الأَنعام: ١٦٣)

altaqwa.net

تغيير العالم يبدأ
من
هنا
ابريل 2021
مايو 2021
يونيو 2021
يوليو 2021
أغسطس 2021
سبتمبر 2021
أكتوبر 2020
نوفمبر 2020
ديسمبر 2020
يناير 2021
فبراير 2021
مارس 2021
جريمة
كلام
مبتدئ 2020
أغسطس 2020
يوليو 2020
يونيو 2020

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 34 - Issue 6, October 2021

www.altaqwa.net